

ملف المستقبل
٧٦
الاحتلال
Looloo
dvd4arab



١ ـ الخطر ..

من أعمق أعماق الفضاء جاء ..

من خلف ملايين المجرّات ، ومليارات النجوم أتى ..

ووسط ظلام سرمدىّ انطلق ..

ونحو هدف محدود ، اتجه ..

كان يعبر أجواز الفضاء ، ويشق طريقه بين النجوم والكواكب ، من أجل هذا الهدف ..

من أجل الأرض ..

كوكبنا ..

ذلك الكوكب المأهول ، الذى يحتل المركز الخامس ، فى مجموعتنا الشمسية ، من حيث الحجم ، والمركز الثالث من حيث ترتيب قُربه من الشمس ..

ذلك الجرم الفضائىّ ، الذى تغطيه قشرة يابسة ، تشمل القارات ، وأحواض البحار والمحيطات ، ويحيط به غلاف غازىّ ، تقلُّ كثافته بصفة عامة كلما ازداد بعدًا عن السطح ..

الأرض ..

أرضنا ..

وفى صمت وهدوء ، راح الخطر يقترب من الأرض ..

وهناك ، على سطحها ..

حيث الحياة والهدوء والسلام ..

حيث يرتفع علم (مصر) ..

هناك بدأت القصة ..

قصة الاحتلال ..

* * *

ساد هدوء محبّب إلى النفس ، فى تلك البقعة من صحراء (مصر) الغربية ، حيث أقيم أكبر وأضخم مركز فى العالم أجمع ، للاستشعار الفضائى والإرسال الكونى ، بعد أن اقتحمت (مصر) عصر الفضاء ، مع بداية القرن الحادى والعشرين ، وبزّت كل من سبقها فى هذا المجال من قبل ..

وفى تلك الليلة بالذات ، كان كل شىء يدعو إلى الهدوء والاستكانة ..

القمر يملأ السماء ، بقرصه الفضىّ المستدير ، ويلقى ضوءه على رمال الصحراء ، فتتألق بذورها كحبات من اللؤلؤ ، تكدّس بعضها فوق البعض ، وتزاحمت لتحوز النصر ، فى معركة بلا هدف .

وسكنت الرياح ، إلا من نسمات رقيقة حانية ، تهمس فى الآذان ، وتداعب خصلات الشعر ..

وتراخت الجفون وتكاسلت ، مع نشوة الموقف ، وروعة الصورة ..

وفى حجرة المراقبة الرئيسية ، جلس ثلاثة من العلماء الشبان ، يتابعون عددًا من الشاشات الفيروزية ، التى تعمل ليل نهار بلا انقطاع ، لالتقاط أية إشارات منتظمة ، قد تأتى يومًا من الفضاء البعيد ، فتنبئ بوجود حضارة فضائية أخرى ، فى جنبات الكون الشاسعة ..

وبتكاسل وتراخ ، غمغم أحدهم ، وهو يبتسم ابتسامة منتشية هادئة :

ـ يا لها من ليلة !!

تمتم الثانى ، فى لهجة بدت أشبه بالتثاؤب :

ـ رائعة !!

أما الثالث ، فقد التفت إليهما ، وابتسم ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم عاد يتطلّع إلى الشاشات فى تراخ ، شأن من لا ينتظر ، أو يتوقع أبدًا ، حدوث أى أمر غير مألوف ..

وبنفس الهدوء والتراخى ، عاد الأوّل يغمغم :

— أتذكرون متى كانت آخر مرَّة ، تلقَّينا فيها إشارات منتظمة من الفضاء الخارجى ؟

تمتم الثانى :

— منذ خمسة أعوام .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

وثبت بعدها أنها مرسلة من سفينة فضائية أرضية ، ضلَّت طريقها .

أطلق الثالث ضحكة قصيرة ، ثم عاد إلى صمته ، على حين قال الأوَّل ، وقد بدأ صوته يحمل نغمة حماسية خافتة :

— ولكننى واثق من أننا سنتلقى يومًا إشارات من الفضاء الخارجى ، ويومها سنتأكَّد من وجود حضارة عاقلة ، ترغب فى عقد أواصر الصداقة مع حضارة كوكبنا .

هزَّ الثالث كتفيه ، وهو يغمغم فى لامبالاة :

— ربَّما .

لم يكد ينطق بعبارته ، حتى انبعث فجأة ، من الشاشة المواجهة له ، أزيز متقطِّع سريع ، وظهرت نقطة مضيئة من طرف الشاشة ، اندفعت فى سرعة نحو الطرف الآخر ، فى مسار متراقص متقافز خاطف ، واختفت هناك ، لتظهر مرَّة أخرى من الطرف الأوَّل ..

وهنا دبَّ نشاط مفاجئ قوىّ ، فى عروق العلماء الشبان الثلاثة ، فهبَّ كل منهم من مقعده ، وشخصت أبصارهم شطر الشاشة الفيروزية ، ووجوههم تحمل مزيجًا عجيبًا من الدهشة والحماس والتساؤل ، قبل أن يهتف الأوَّل :

— يا إلٰهى !!.. لقد أتت أخيرًا .

وراح الثالث يرتجف فى انفعال ، وهو يشير إلى الشاشة ، قائلًا :

— انظر .. إنها إشارات منتظمة مدروسة ، تزداد قوَّةً فى كل لحظة ..

إنها هى .. إنها تلك التى نتلهَّف إليها منذ خمس سنوات .

لوَّح الأوَّل بذراعيه ، وهو يهتف فى حماس :

— دوِّن هذه اللحظة أيها التاريخ ، دوِّن لحظة اتصال أول حضارة عاقلة بنا ..

غمغم الثانى فى تردُّد وحذر :

— مهلًا .. ربما كانت إشاراتنا نحن .. مَنْ يدرى ؟

هتف الثالث :

— كلَّا .. إنها إشارات تختلف .

ثم أشار إلى شاشة أخرى ، مستطردًا فى انفعال :

— دعُونا نستشر الكمبيوتر .

وانتقلت أصابعه بنفس الانفعال ، إلى لوحة الأزرار ، المتصلة بالشاشة الأخرى ، وراح يضغطها فى سرعة ، فانبعث من بُوق غائر فى تجويف خاص ، إلى جوار الشاشة ، ذلك الصوت المعدنى للكمبيوتر ، وهو يقول :

— إشارة من مصدر غير بشرى ، منتظمة بشكل تام التوافق ، زمنيًا ، وإيقاعيًا ، تأتى من مسافة تقدَّر بمليونى ميل ، خارج حدود الغلاف الجوىّ الأرضى .

هتف الثانى فى دهشة :

— مليونى ميل ؟!.. عجبًا !!.. إنها مسافة قريبة للغاية ، بالنسبة للفضاء ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن نرى ذلك الشىء ، الذى يبعث بالإشارة ، بواسطة المرصد العادىّ .

انتقل الثلاثة إثر كلمته ، إلى شاشة ثالثة ، حيث ضغط الأوّل زرًّا فيها ، فأضيئت على الفور ، وبدت فوقها صورة للفضاء بظلامه ونجومه ، وأسرع يوصلها بمعطيات الكمبيوتر ، وإحداثياته ، فانتقل المشهد فوقها فى سرعة ، وراح يشُق الفضاء الصامت حتى توقَّف عند مجموعة من النيازك ، تنطلق فى الفضاء ، وراح يتابع حركتها فى توافق هادئ ، فهتف الأوَّل ، وقد سرت فى جسده موجة من خيبة الأمل :

— نيازك ؟!

عقد الثالث حاجبيه ، وهو يقول فى حَيْرة :

— عجبًا !!.. وما الذى يصدر تلك الإشارة منها ؟

وعاد يتطلَّع إلى شاشة الاستشعار ، التى ما زالت الإشارات تجرى فوقها ، ثم استطرد فى مزيد من الحَيْرة :

— إنها أشبه بنبضات حيّة .

تطلَّع زميلاه إلى الشاشة بدوْرهما ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يهتف أحدهما فى ذُعْر :

— يا إلهى !!.. دعكما من الإشارات الآن ، فهناك ما هو أكثر خطورة .

تطلَّع إليه زميلاه فى دهشة ، فاستطرد وهو يرتجف :

— إن هذه النيازك بالغة الضخامة ، وازدياد قوة الإشارات التدريجى ، بالإضافة إلى ذلك المسار ، يشيران إلى نقطة مخيفة .

وشحُب وجهه ، وهو يردف فى هلع :

— إن تلك النيازك سترتطم بالأرض .. سترتطم بها حتمًا .

* * *

٢ — النهاية ..

« بعد ثلاثة أيام ؟!.. » ..

نطقها (نور) فى مزيج من الدهشة والجزع ، وهو يحدّق فى وجه الدكتور (عبد الله) مدير إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، الذى ارتسم عليه الأسف والتوتّر بأبلغ صورهما ، وهو يهزّ رأسه مؤيدًا ، قائلًا :

— نعم يا (نور) .. ثلاثة أيام فحسب ، وتتلقّى الأرض أعنف ضرباتها .. بل لن أكون مبالغًا ، لو قلت إنها ستتلقّى الضربة القاضية .

لوّح (نور) بكفّه ، وهو يهتف :

— ولكن هذا مستحيل !!.. هناك عشرات النيازك ، التى تخترق غلافنا الجوّى ، منذ بدء الخليقة ، ولكن أحدها لم يهدّد كيان الأرض حتى الآن .

تمتم الدكتور (عبد الله) فى مرارة :

— لم يكن أحدها يمثل هذه الضخامة يا ولدى ، ولا يمثل هذه السرعة .

والتقط من فوق مكتبه عددًا من الصور ، وراح يرصّها أمام عينى (نور) ، وهو يستطرد فى ألم :

— انظر .. ها هى ذى الصُّوَر ، التى التقطها مَرْصَد حلوان ، والتى توضح كيان تلك القافلة القاتلة من النيازك .. انظر .. إنها تبدو من بعيد ، كما لو كانت ثلاثة نيازك ضخمة ، يبلغ حجم الواحد منها حجم مدينة كبرى ، ولكن المزيد من الاقتراب يوضّح أنها مجموعة هائلة من النيازك ، متلاصقة على نحو عجيب ، فى ثلاث مجموعات ضخمة .

تمتم (نور) فى توتّر :

— ربما ساعد هذا على تفتّتها ، عند عبُورها غلافنا الجوى ، واحتراق معظمها ، أو .....

قاطعه الدكتور (عبد الله) :

— لقد درس علماؤنا هذا الاحتمال يا (نور) ، ولكن النتائج كانت أكثر إثارة للرعب ، فقد وجدوا أنه ، مع تلك السرعة الفائقة ، والضخامة المذهلة ، ستتفتّت فى عنف وتتسع دائرة انتشارها فى شدة ، مع احتراق مالا يزيد على عشرة فى المائة منها ، وهذا يعنى أنها ستغطى نصف الكرة الأرضية تقريبًا .

انتقع وجه (نور) ، وتراقصت عضلاته فى توتر بالغ ، وهو يحاول أن يطرد من ذهنه تلك الصورة البشعة لكوكبه ، وهو يتحطم إثر وابل من أمطار نيزكية قاتلة ..

وانقبض قلبه فى مرارة ..

وبكت أعماقه ..

كم يكره الدمار !!..

كم يمقت العنف والأذى !!..

وبكل ماتحمله أعماقه من مرارة ، غمغم (نور) :

ــ هناك حل .

ثم ارتفع صوته فى حدة ، وهو يستطرد متوترًا :

ــ حتمًا هناك حل .

تنهد الدكتور (عبد الله) ، وقلب كفيه فى مرارة ، وهو يقول :

ــ كيف ياولدى ؟.. كيف .. لقد قلبنا الأمر على كل الوجوه ، وقتلناه بحثًا ودراسة ، ولكننا لم نجد هذا الحل .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى يأس :

ــ لقد فكرنا حتى فى ضرب النيازك بالصواريخ ، ذات الرءوس النووية ، ولكننا وجدنا أن هذا سيزيد من انتشارها وتشتتها فحسب .

غمغم (نور) فى شحوب :

ــ يا إلهى !!

وبعدها عجز عن أن ينطق كلمة واحدة ..

لقد نشأت فى حلقه غصة ، منعته من أن يتفوه بحرف واحد ..

غصة مؤلمة مريرة ..

وبمقاومة هائلة ، خرج من بين شفتيه صوت شاحب مختنق متحشرج ، يقول :

ــ أهى النهاية ؟

زفر الدكتور (عبد الله) ، وقال فى مرارة :

ــ يبدو أنها كذلك يا (نور) .

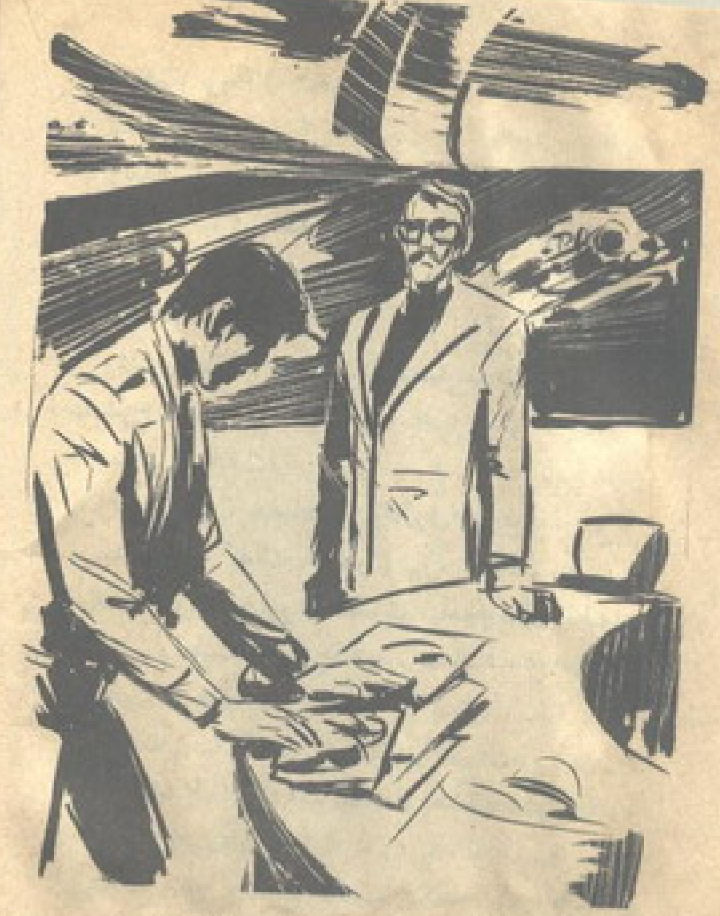
شحب وجه (نور) لحظات ، أمام ذلك الجواب المروع ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، استعاد عناده وصرامته ، وهو يقول فى حزم :

ــ خطأ .

تطلع إليه الدكتور (عبد الله) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

ضرب (نور) سطح المكتب بقبضته ، وهو يقول فى حزم :



شحب وجه (نور) لحظات ، أمام ذلك الجواب المروّع ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ..

ـ أقول إن هذا خطأ .. لن ينتهى العالم الآن ، ولدىّ دليل لا يقبل الشك .

سأله الدكتور (عبد الله) ، وقد اختلطت دهشته بلهفة حقيقية ، لمعرفة الجواب :

ـ أى دليل يا (نور) ؟

أشار (نور) إلى صدره ، هاتفًا :

ـ نحن .. أعنى أنا وفريقى .. فلقد انتقلنا فى إحدى مغامراتنا إلى المستقبل(*) ، وكانت الأرض موجودة متقدّمة حينذاك ، وهذا يعنى أنها لن تنتهى فى هذا العصر .

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه نفيًا ، وقال فى مرارة :

ـ هذا ليس دليلًا ياولدى ، فلن تكون تلك الكارثة بأضخم من فيضان (نوح) ، الذى أباد العالم كله ، إلا قليلًا ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقى العالم ، واستعاد حضارته .

تمتم (نور) فى اعتراض متخاذل :

ـ ولكنهم كانو يعرفوننا ، و .....

لم يتمّ عبارته ، لأنها بدت له ضعيفة سخيفة ، فابتلعها فى صمت ، وأعقبها الدكتور (عبد الله) بزفرة قويّة ، قبل أن يندفع إليه أحد رجاله ، هاتفًا :

ـ سيّدى .. لقد حدث أمر بالغ الغرابة !!

(*) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

— سيدى .. لقد حدث أمر بالغ الغرابة !!

التفت إليه (نور) فى دهشة ، فى حين انتفض الدكتور (عبد الله) ، وهتف :

— أى أمر هذا ؟

هتف الرجل :

— النيازك يا سيدى .. لقد زادت سرعتها إلى عشرة أضعاف ، حتى أنها قد تجاوزت سرعة الضوء بغتة .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— ازدادت سرعتها ؟!.. سرعة الضوء ؟!

ثم هبَّ من مقعده ، صائحًا :

— واصلوا مراقبتها .. ادرسوا تلك الحالة العجيبة .. أريد تقريرًا عاجلًا ، من طاقم علماء الفضاء ، و .....

قاطعه الرجل فى توتر بالغ :

— إنهم أكثر حيرة منا يا سيدى ، فهم يؤكدون أن سرعة النيازك تتزايد ، عند اقترابها من أى كوكب مأهول ، نظرًا لجذب الكوكب لها ، إلا أنها أبدًا لا تبلغ هذا القدر من السرعة ، الذى يحتاج إلى وقود خاص .

هتف (عبد الله) فى عصبية :

— ولكن من الضرورى أن ندرس كل شئ عن تلك النيازك ؛ لنفهم على الأقل ، ما الذى يعنيه اختراقها لسرعة الضوء ؟!

أجاب (نور) فى صوت متوتر :

— يعنى أنها تعبُر حاجز الزمن .

التفت إليه الدكتور (عبد الله) ، وهو يهتف فى دهشة :

— حاجز ماذا ؟

أجابه (نور) فى توتر مضاعف :

— حاجز الزمن يا دكتور (عبد الله) .. نظرية (أينشتين) القديمة .. لقد حدث ذلك لفريقى يومًا ، وعَبَرْنا حاجز الزمن إلى الماضى(*).

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) فى دهشة ، وهو يقول :

— ولكن (لماذا) ؟.. لماذا يحدث هذا ؟

تردَّد (نور) لحظة ، ثم هزَّ كتفيه ، مغمغمًا :

— لست أدرى .. مازال الأمر يبدو غامضًا .

وهنا اندفع رجل آخر إلى المكان ، وكان يرتجف فى قوة ، ويعانى شحوبًا مخيفًا ، وهو يقول :

— سيدى .. إنها النهاية .

حدق الدكتور (عبد الله) فى وجهه فى ارتياع ، وهو يقول :

— أية نهاية يا رجل ؟

— هتف الرجل فى انهيار :

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

— النيازك .. لقد .. لقد ظهرت بغتة ، عند غلافنا الجوّى .. ستهوى فوق رءوسنا بعد لحظات .

* * *

كانت مفاجأة مُذهلة بحق ..

مفاجأة ألجمَ لها لسان (نور) ، والدكتور (عبد الله) ..

وفجأة ، هتف الأوّل :

— ربّاه .. إنها لم تمنحنا حتى فرصة الدفاع .

وقفز الثانى يضغط زرّ الراصد ، ثم تراجع ، هاتفًا فى ارتياع :

— يا ربُّ السموات !!.

فقد كانت شاشة الراصد تنقل مشهدًا رهيبًا ..

آلاف النيازك تخترق الغلاف الجوّى الأرضىّ ..

كتل من النيران تعبُر المجال ..

السماء تمطر لهبًا ..

هتف الدكتور (عبد الله) فى ارتياع :

— إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولكنه كان مخطئًا ..

لم تكن النهاية ..

كانت البداية ..

* * *

٣ — الغزو ..

كان الجميع يتوقّعون صدمة هائلة ..

ارتطامًا رهيبًا ، وبعده تفنى الحضارة ..

كانوا يتوقّعون نهاية مخيفة ..

نهاية تأتى على حين غرّة ، فتسلبهم حياتهم وحضارتهم وماضيهم ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد تفرّقت النيازك ، وتشتّتت حقًا ، عند عبورها الغلاف الجوىّ للأرض ، فانتشرت لمساحة هائلة ، غطّت قارات الأرض الست دفعة واحدة ..

ولكن مخلوقًا واحدًا ، على الأرض بأسرها ، لم يُصب بأدنى ضرر ..

جسديًا على الأقل ..

كل النيازك — على الرغم من أعدادها الهائلة — هبطت فى مناطق غير مأهولة من القارات الست .

من (أستراليا) إلى (أمريكا الجنوبية) ..

كل بقعة خالية من الأرض ، هبطت فيها بعض النيازك ..

حتى البحار والمحيطات ..

حتى الارتطام ، لم يكن قويًا ..

لقد انخفضت سرعة النيازك بغتة ، كأنما كانت هناك قوى مخيفة تحرّكها ، وهبطت كلها على الأرض فى لحظة واحدة ، وهدوء تام ..

ثم ساد الصمت ..

كانت لحظة رهيبة ، من لحظات التاريخ ..

لحظة صمتت فيها الأرض كلها ..

كلها بمعنى الكلمة ..

كل مخلوق على وجه الأرض حبس أنفاسه فى انفعال ..

ثم انفجر الجميع دفعة واحدة ..

كانت فرحتهم عارمة قويّة جارفة ..

فرحة المحكوم عليه بالإعدام ، عندما يصدر لصالحه عفو شامل تام ، قبل لحظة واحدة من التفاف حبل المشنقة حول عنقه ..

وراح الجميع يتبادلون التهنئة ، وكلمات السعادة والارتياح ..

فيما عدا رجلًا واحدًا ..

(نور) ..

وحده كان يشعر بالخطر ..

وحده كان يشعر أن هذا الأمر مُريب ..

وحده كان يشعر أنه مخيف رهيب ..

ووسط فرحة النجاة العارمة ، أمسك ذراع الدكتور (عبد الله) فى قوّة ، يسأله فى توتّر :

ـ قُل لى .. كيف حدث هذا ؟

هتف الدكتور (عبد الله) ، وهو يلوّح بذراعيه فى فرح :

ـ دعك من كيف حدث .. المهم أننا قد نجونا يافتى .

صاح به (نور) فى حِدّة :

ـ مَنْ قال هذا ؟

توقّف الدكتور (عبد الله) وتطلّع إليه فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ ماذا تعنى ؟

هتف وهو يشير إلى شاشات الراصد :

ـ أعنى أنه من المفروض أن يولّد فينا ما حدث مزيدًا من القلق والخوف ، فهل رأيت فى حياتك كلها ، أو قرأت ، أو سمعت عن نيازك ، تهبط فى هدوء ، كما لو كانت سفن فضاء ؟



اندفع وخلفه (نور) ، إلى شاشة كمبيوتر ضخمة ، ضغط أحد أزرارها في خفة فارتسمت فوقها خريطة كاملة للكرة الأرضية ..

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول في ذُعر :

ــ ماذا ؟!..

وتسمَّر في مكانه لحظة ، ثم هتف في ارتياع :

ــ اللعنة !! هذا صحيح .. كيف حدث هذا حقًا ؟

هتف به (نور) :

ــ سَلْ نفسك .

عاد الرجل يتطلَّع إليه في هلَع ، ثم هتف :

ــ بل دعْنا نسأل الكمبيوتر .

اندفع وخلفه (نور) ، إلى شاشة كمبيوتر ضخمة ، ضغط أحد أزرارها في خفة ، فارتسمت فوقها خريطة كاملة للكرة الأرضية ، وبضغطة زرٍّ أخرى ، راحت آلاف النقاط المضيئة تظهر فوقها ، فعقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ عجبًا !!.. كل النيازك ــ بلا استثناء ــ هبطت في أماكن غير مأهولة .

سأله (نور) في توتُّر :

ــ أيبدو لك ذلك طبيعيًا ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلًا :

ــ على العكس .. إنه يبدو مريبًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حِدَّة :

— ومخيفًا كذلك .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال فى حزم :

— لو أننى تركت لخيالى العنان ، فيمكن القول ، بلا تردُّد ، إنها ليست نيازك .

ازدرد الدكتور (عبد الله) لُعابه فى صعوبة ، وغمغم :

— ما هى إذن ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم عاد يقول بمزيد من الحزم :

— مَنْ يدرى يا دكتور (عبد الله) ؟.. مَنْ يدرى ؟.

وفجأة ، شقت شهقة قويّة المكان ، وبعثت رجفة فى أجساد الجميع ، قبل أن يهتف الدكتور (عبد الله) فى توتُّر بالغ :

— ماذا هناك ؟

صاح مراقب الراصد فى شُحُوب :

— سيدى .. انظر !.. انظر ماذا يحدث هناك !!

أسرع الجميع إليه ، والدكتور (عبد الله) يهتف فى عصبيّة :

— ماذا تعنى بهناك ؟

هتف الرجل فى توتُّر :

— فى أقصى الصحراء الغربية يا سيِّدى .. حيث هبط أكبر عدد من النيازك ..

انظر .

ساد صمت مفاجئ ، والجميع يتطلّعون إلى الشاشة ، التى تنقل صورة الصحراء ، والنيازك الضخمة ، المستقرَّة على رمالها فى سكُون ..

وحول النيازك ، راحت سحابة ورديّة تنتشر فى بطء ..

سحابة هادئة ، ناعمة ..

سحابة تصنع فى بطء ، ما يشبه قبّة وَرْديّة ، تخفى تحتها خمسة من النيازك ..

بالتحديد خمسة ..

وفى كل أنحاء العالم ، كان الشىء نفسه يحدث ..

سحب ورديّة تحيط كل خمسة نيازك بقبة واحدة ..

وتمتم الدكتور (عبد الله) فى خوف :

— ما هذا بحقّ السماء ؟

أجابه (نور) فى توتُّر مماثل :

— غزو !!

التفتت إليه كل العيون فى رُعب ، إلّا أنه استطرد فى حزم :

— ألا يبدو لكم هذا واضحًا ؟. إنه غزو .. غزو من الفضاء الخارجىّ .

* * *

٤ ـ وبدأت المأساة ..

ساد الهرج والمرج ، فى قاعة مجلس الأمن ، بمبنى الأمم المتحدة ، حيث اجتمع مندوبو دول العالم ؛ لمناقشة أمر تلك القباب الورديَّة المخيفة ، التى غمرت العالم كله دفعة واحدة ، واضطر رئيس الجلسة أن يضرب سطح منصَّته بمطرقته ، هاتفًا :

ـ مهلًا أيها السادة .. مهلًا .. شجاركم هذا لن يحلّ شيئًا من الأمر .. إننا نواجه الآن مشكلة عامَّة ، تهم العالم أجمع ، فالتزموا الهدوء .

نهض مندوب الاتحاد السوفيتى ، هاتفًا :

ـ إنه ليس شجارًا .. إننى أتحدَّث عن حقائق ، وأتَّهِمُ الولايات المتحدة الأمريكية رسميًا ، بأنها وراء كل هذا .

لوَّح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية بذراعه ، وهو يهتف فى لهجة تجمع مابين الغضب الجارف ، والسُّخرية اللَّاذعة :

ـ هل لك أن تفسر لى إذن أيها الرفيق ، السبب الذى

يدفعنى إلى الجلوس هنا ، والاستماع إلى سخافاتك ، فى حين تملك دولتى سر تلك القباب الورديَّة ، التى تنتشر فى العالم أجمع ، والتى يقف الجميع عاجزين أمامها ؟..

ران الصمت التام على المكان إثر عبارته ، وارتسمت الخيبة على الوجوه ، إزاء منطقيتها ، بعد أن كان الأمل قد راود الجميع ، فى أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هى المسئولة عن كل ذلك حقًا ، مما يقلِّل من حجم الخوف والقلق ، إلا أن المندوب الأمريكى لم يلبث أن استطرد فى حنق :

ـ لقد واجهتم جميعًا تلك القباب الورديَّة ، وجابهتموها بكل ما لديكم من قُوَى ، فماذا حدث ؟

لم ينبس أحدهم ببنتِ شَفَة ، فأردف فى حِدَّة :

ـ نحن هاجمناها بالدبابات الذريَّة ، ومدافع اللِّيزر ، والسوفيت أطلقوا على بعضها صواريخ ذات رءوس نوويَّة ، وفى (مصر) جابهوها بموجات ارتجاجية .. وفى (الجزائر) ، و (المغرب) ، و (عُمَان) ، و (الأردن) .. فى كل دول العالم تقريبًا .. وماذا كانت النتيجة ؟

انتظر أن يسمع جوابًا ، ولكن الصمت ظلَّ مسيطرًا على الجميع ، فعاد يتابع فى مرارة :

ــ هزيمة .. هزيمة نكراء .
وأطلق من أعمق أعماقه زفرة هائلة ، قبل أن يردف :
ــ كلنا فشلنا وخسرنا .. كلنا عجزنا .
واستعاد صوته حدّته بغتة ، وهو يهتف :
ــ لماذا ؟!.. سلوا أنفسكم : لماذا ؟.. الجواب أيها السادة ــ وبكل صراحة ووضوح ــ هو أننا لانملك القوّة الكافية لصدّ هذه القباب ، التى لاندرى عنها ، وعن مكوّناتها ، وعن فحواها شيئًا .. إنها ــ باختصار ــ سلاح هائل ، لتعجز كل قوانا ، وتكنولوجيتنا المتطوّرة ، فى القرن الحادى والعشرين عن صدّه ، والدولة التى ستمتلك هذه القوّة ، سيمكنها ــ ببساطه ــ أن تسيطر على العالم أجمع ، وتحكمه .
وعاد صوته ينخفض فجأة ، وهو يستطرد :
ــ فلماذا لم يحدث هذا ؟
ارتسمت الحَيْرة على الوجوه ، وسط صمت مُطْبِق ، قطعه صوته ، الذى عاد يهدر من جديد ، هاتفًا :
ــ سأخبركم أنا لماذا .. لأنه لاتوجد دولة واحدة ، فى كوكب الأرض كله ، تمتلك مثل تلك القوّة ، التى هى ــ كما هو واضح ــ من خارجنا .

وبدا صوته قويًا ، كقرع ملايين الأجراس ، وهو يردف فى حزم :
ــ من خارج كوكب الأرض ..

* * *

« (نور) ... إنك ترعبنى » ..
هتفت (سلوى) بهذه العبارة فى صوت مرتجف ، وهى تحدّق فى وجه (نور) فى خوف ، متمنّيةً أن يبدو عليه ما يشير إلى أنه يمزح ، إلّا أنه بدا جامدًا ، وهو يقول :
ــ هذا هو التفسير الوحيد يا (سلوى) .. إنها طليعة غزْو فضائىّ .
شحُب وجهها فى شدة ، وهى تهتف :
ــ ولكن يا (نور) !.. يا إلهى !!.. ما دمنا نعجز عن صدّ تلك المحاولات الأولى ، فهذا يعنى أننا سنخسر معركتنا وأرضنا .. سنخسرهما حتمًا .
تمتم فى ضيق ، وهو ينطلق بسيّارته ، عائدًا إلى منزلهما :
ــ هذا القول سابق لأوانه يا (سلوى) .. إننا لم نجزم بصحة هذا الافتراض بَعْدُ .
قالت فى توتّر :

— ولكن لماذا يسود ذلك السُّكون ؟!.. لقد هبطت تلك النيازك الغامضة ، التي أحيطت بالقباب الورديَّة على أرضنا ، منذ ثلاثة أيام ، وطوال تلك المدَّة لم يحدث شيء .. أي شيء .. إن قواتنا تحاصر القباب الورديَّة ، وكذلك قوات كل دول العالَم تقريبًا ، فما الخطوة التالية ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب في خفُوت :

— الهجوم .

خُيِّل إليها أنها لم تُحسن فهم الكلمة ، فعادت تسأله في شيء من الجزع :

— ماذا ؟

ارتفع صوته ، وهو يقول في حِدَّة :

— الهجوم .

امتقع وجهها ، وهي تغمغم في ارتياع :

— يا إلهي !!.. هُجوم ؟!

قال في عصبيَّة :

— نعم .. هُجوم شامل عنيف .. هجوم يبدأ بعد أن ينتهي هؤلاء الأوغاد من دراسة كل ما يتعلَّق بمناخنا وقدراتنا ، من داخل قبابهم الورديَّة اللعينة .

ازداد امتقاعها ، وهي تهتف :

— (نور) !!.. أتعني أن تلك النيازك .....؟

لم ينتظر حتى تُكمل سؤالها ، بل أجاب في حِدَّة :

— نعم .. إنها سفن فضائية خارجية ، تنكَّرت على هيئة مجموعات من النيازك ، حتى تعبُر غلافنا الجوي أوَّلًا .. إنه غزوٌ يا عزيزتي .. غزو فضائيٌ شامل .

* * *

كل العالَم سادته تلك المَزيجة من القلق والتوتُّر والخوف ..

كل العالَم راح يستنتج ويستنتج ..

كله راح يرتجف ..

النقطة الوحيدة ، التي اتفق عليها الجميع ، هي أن كل هذا قد جاء من بعيد ..

من الفضاء الخارجي ..

من نقطةٍ مجهولة ، في ذلك الفراغ السرمَديّ ..

وفي توتُّر بالغ ، وقلق رهيب ، وخوف عارم ، راح العالَم ينتظر الخطوة التالية ..

ولقد جاءت ..

جاءت بغتة ..



ولم يهبط هذا النيزك على سطح الأرض ..
— لقد توقف فى الفضاء على ارتفاع بضعة آلاف من الكيلومترات ..

ففى السادسة من صباح اليوم الرابع ، من الغزو الصامت ، التقطت المراصد الفضائية فى العالم أجمع صورة نيزك هائل ، يقترب بدوره من كوكب الأرض ..

فى هذه المرة كان كتلة واحدة ، وليس مجموعة من النيازك كذى قبل ..

ولم يهبط هذا النيزك على سطح الأرض ..

لقد توقف فى الفضاء ، على ارتفاع بضعة آلاف من الكيلومترات عن سطحها ، وبقى صامتًا ساكنًا ..

ومن العجيب أن دولة واحدة لم تطلق نحوه مدافعها الليزرية ، التى اكتظت بها تلك الأقمار الصناعية الدفاعية ، التى احتشدت حول الأرض ..

كان هائلًا ، حتى أن الجميع قد خشوا من ردّ الفعل ، فآثروا الصمت والانتظار ، خشية التورُّط فى عمل لاتُحمد عقباه ..

وفجأة ، التقطت أجهزة الاستقبال ، فى العالم أجمع ، رسالة غامضة ..

رسالة بلغة غير مفهومة أو معروفة ..

وهنا حدث ما ارتجف له العالم أجمع ..

لم تكد تلك القباب الورديّة تتلقى الإشارة الغامضة ، حتى تحوّل لونها فى بطء ، من الورديّ إلى الأزرق ..

كان اللون الأزرق ينتشر من قاعدة القباب إلى قمتها فى بطء ، كما لو كان ضبابًا متصاعدًا ..

وعندما اكتمل التحوّل ، فُتحت أبواب القباب دفعة واحدة ، فى كل أنحاء العالم ..

وبدأت المعركة ..

معركة الغزو ..

* * *



٥ ـــ القتال ..

كانت كل القباب محاطة بقوّات ضخمة ، متأهبة لأى موقف مفاجئ ، ومستعدة لصد أى هجوم مباغت ..

وعلى الرغم من ذلك ، كانت المفاجأة ساحقة ..

لقد انطلقت من القباب فجأة ملايين المقاتلات الفضائية ..

من كل قبة انطلقت مئات ..

وبسرعة مذهلة ، ومناورات رائعة ، وانقضاضات بارعة ، بدأت المقاتلات هجومها ..

ومن مقدماتها ، انطلقت أشعة أرجوانية ، تفتك بكل ما تمسّه ، ومَنْ تمسّه ، من بشر ، أو حيوان ، أو جماد ، أو طير .

وقاوم جنود البشر فى بسالة ..

قاوموا بكل مايملكون من قوّة ..

ولكن المعركة لم تكن متعادلة ..

كانت رهيبة ..

ومن المستحيل أن ينجح كاتب أو أديب ـ مهما بلغت
براعته ـ أن يصف ما حدث ..
ليس لأنه لايوصف ، ولكن لأن الوقت الذى استغرقته
المعركة ، لم يكن يكفى لمعرفة تفاصيلها ..
لقد تصدّت قوات الأرض للهجوم ، و .....
وانسحقت ..
هكذا ..
بهذه البساطة ..
فى نفس الوقت الذى استغرقه الانتقال من السطر الأوّل
إلى التالى ..
لقد هاجمت المقاتلات الفضائية ، واستعدت القوات
الأرضية لصدّ الهجوم ، ولكن مقاتلات الفضاء سحقت ستين
فى المائة منها مع الضربة الأولى ..
وبرغم هذا ، لم تتراجع القوات الأرضية ..
قاومت فى بسالة ..
واستغرقت مقاومتها دقيقة واحدة فحسب ..
ولم تسقط أيّة مقاتلة للعدوّ خلالها ..
ثم هوَت الضربة الثانية على الرءوس ..

وانسحقت القوات الأرضية الباقية ..
انسحقت سحقًا ، كما لو كانت أرنبًا وليدًا ، وطئته أقدام
أضخم أفيال الغابة ، بلا رحمة أو شفقة ..
وفقدت الأرض فى ضربة واحدة ربع قواتها المقاتلة ..
وسادت حالة من رُعْب هائل ..
لقد نقلت شاشات الهولوفيزيون ماحدث ، فوقع الرُّعب
فى قلوب الجميع ، وارتجفت الأجساد فى هلَع ..
ها هى ذى الأرض تواجه ما لاقِبَل لها به ..
تواجه غزوًا هائلًا رهيبًا ..
وفى كل أنحاء الأرض ، من أقصاها إلى أقصاها ، ساد رُعْب
هائل ..
وفى منزل (نور) ، هبّ هذا الأخير ، هاتفًا :
ـ يا إلهى !!.. هذا ما خشيته طِيلة عُمْرى .
ثم اختطف سترته الجلدية ، وهو يستطرد فى انفعال :
ـ هيًا يا (سلوى) .. سنذهب إلى إدارة المخابرات ،
لا ريب أنه سيطلبوننا هناك على الفور .
صاحت (سلوى) فى رُعْب :
ـ وماذا عن (نشوى) ؟.. إنها لم تعُد من عملها بَعْد .
هتف وهو يجذبها من معصمها إلى الخارج :
ـ سنلتقطها من هناك .. هيًا .

قفزا معًا داخل سيّارته الصاروخية ، التى انطلق بها فى توتّر ، وهو يهتف :

ـ المذياع .

وعلى الفور ، انطلق مذياع السيّارة يعمل ، استجابة لأمر (نور) ، الذى عاد يهتف فى توتّر :

ـ محطة الأخبار .

انتقلت موجة المذياع تلقائيًا إلى المحطة الإخباريّة ، استجابة لأمر (نور) ، وارتفع صوت مذيعة المحطة الملتاعة ، وهى تهتف :

ـ دمار شامل .. لقد انهزمت كل قواتنا ، التى كانت تحاصر القباب الورديّة ، وأنا أرى الآن مقاتلات العدوّ الفضائىّ المجهول ، وهى تحلّق فوق القباب ، التى تحوّل لونها إلى الأزرق ، وفوق قواتنا المسحوقة ، كنسور ظافرة ، تحلّق فوق ضحيتها .. إنها رُعب هائل أيها السادة .. أقصد ذلك الذى أشعر به .. إنه .....

وصمتت لحظة ، ثم هتفت فى انفعال :

ـ بلغنا الآن أيها السادة ، أن قواتنا المسلحة قد قرّرت مواصلة القتال ، والدفاع عن أرضنا ودولتنا ، مهما كان الثمن .. كما أن دول العالم كلها قد اتفقت على استخدام

أقمارها الصناعية ، المزوّدة بمدافع اللّيزر ، لصد الهجوم ، والدفاع عن الكوكب .

هتف (نور) :

ـ كفى .

قالها وأوقف سيّارته فى حِدّة ، أمام مركز الكمبيوتر ، حيث تعمل (نشوى) ، وقفز من سيّارته ، وهو يهتف :

ـ انتظرى هنا يا (سلوى) .

صاحت فى توتّر :

ـ سأذهب معك .

هتف فى عصبيّة :

ـ قلت انتظرى هنا .

واندفع نحو باب المركز ، حيث استوقفه حارس الأمن ، فهتف به ، وهو يبرز بطاقة المخابرات العلمية :

ـ ابتعد .. الوقت لا يسمح بتلك المهاترات .

ومن العجيب أن الحارس قد ابتعد على الفور ..

أو أن هذا كان طبيعيًا ، فى ظل تلك الظروف المخيفة ..

وأسرع (نور) يعْبر ممرّات المبنى ، حتى دلف إلى أحد حجراته ، وهتف :

ـ (نشوى) .

هبّت ابنته من مقعدها ، وهى تهتف :

— أبى .. كنت أعلم أنك ستأتى .

وألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تبكى هاتفة :

— إننى أرتجف رعبًا .. لقد خشيت حتى أن أغادر المكان ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، عندما شعرت بتلك الانتفاضة القوية ، التى سرت بغتة فى جسد والدها ، وسمعت صوته المذهول ، وهو يغمغم :

— يا إلهى !!

فتباعدت عن والدها بطول ذراعيها ، وهى تهتف فى هلع :

— أبى !.. ماذا هناك ؟

لم يجب ، فقد كان يحدق فى نافذة حجرتها ، مما دفعها إلى الالتفات خلفها ، إلى حيث ينظر ..

ولم تكد تفعل ، حتى شهقت فى رُعب ..

لقد رأت أمامها تلك المقاتلات الفضائية ..

رأتها تنقضّ على المبنى ..

ورأت أشعتها الأرجوانية المدمِّرة تنطلق ..

* * *

٦ — الدَّمار ..

اندفع الدكتور (عبد الله) ، داخل حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، والذُّعر يملأ ملامحه ، وهو يهتف :

— سيِّدى .. هل رأيت ما حدث ؟

هتف به القائد الأعلى ، وهو يلملم أوراقه السرِّيَّة ، ويُلقى بها داخل آلة تدمير خاصَّة :

— أرأيت يا دكتور (عبد الله) ؟. لقد نقلت إلىّ شاشة الراصد ذلك المشهد الأخير ، عندما بدأت أقمار اللّيزر هجومها .

وتوقَّف لحظة ، ليرفع عينيه إلى الدكتور (عبد الله) ، مستطردًا :

— لقد كان ذلك مروِّعًا .

هتف الدكتور (عبد الله) فى هلع :

— بالتأكيد .. لقد هاجم ذلك النّيزك الرهيب ، الذى يحتلّ فضاء كوكبنا ، كل الأقمار الصناعية ، وسحقها سحقًا بأشعته الأرجوانية الهائلة ، التى يبلغ نصف قطر مقطعها عشرة

كيلومترات كاملة .. لقد فقد العالم كله أقماره الصناعية ياسيّدى .. لقد فقدنا وسائل الاتصال الدولية ، ووسائل الدفاع الفضائية كلها .. لقد خسرنا كل هذا بضربة واحدة .

قال القائد الأعلى ، وهو يواصل تدمير كل أوراق إدارة المخابرات العلمية ، التى تحوى ملفات الإدارة كلها .

— من الواضح أننا نواجه عدوًا لا قِبَل لنا به هذه المرّة .. يا إلهى !!.. ليت (س ١٨) كان هنا(*) .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— لم يعُد هناك وقت للآمال .. إن (س ١٨) يرقد الآن فى قرار المحيط ، ثم إنه ليس سوى شخص آلىّ ، مهما بلغت قوته وإمكاناته .

هتف القائد الأعلى :

— فى الواقع لم يعُد هناك وقت لأى شىء .. إننا سنخسر حتمًا ، المهم الآن هو أن ندمّر كل ما خلفنا .

وزفر فى عمق ، قبل أن يستطرد فى مرارة :

— وأن نعترف بأنها النهاية .. نهاية الأرض ..

* * *

(*) راجع قصص (المقاتل الأخير) ، و (غزو الأرض) ، و (جحيم أرغوران) ، و (المحيط الملتهب) .. المغامرات رقم (٤٧) ، و (٤٩) ، و (٥٩) ، و (٦٣) .

كانت سرعة استجابة (نور) خرافية فى ذلك الموقف .

لقد جذب ابنته فى قوة ، ودفعها جانبًا ، فى نفس اللحظة التى أصابت فيها الأشعة الأرجوانية الساحقة المبنى المركزىّ للكمبيوتر ..

وتفجّرت جدران المبنى ، وراح ينهار فى عنف ، و (نشوى) تصرخ :

— إنهم يقتلوننا يا أبى .. يدمروننا .

جذبها خلفه ، وهو يعدو هاتفًا فى حزم :

— لا ينبغى أن نسمح لهم بذلك .

راحا يعدُوَان عبْر ممرات المبنى ، التى تهدّم نصفها ، والأشعة الأرجوانية تنهال على المكان ، وتسحق جدرانه سحقًا ، حتى بلغا خارجه ، ورأيا (سلوى) تكاد تنهار جزعًا ولوْعة ، فقفزا داخل السيّارة ، وصاحت هى فى لهفة ، وهى تضمّ ابنتها إلى صدرها :

— (نشوى) !!.. يا إلهى !.. لقد خشيت أن .....

لم تكمل عبارتها ؛ لأنها لم تحتمل ذكر موطن خوفها الحقيقى ، فعادت تضمّ ابنتها إلى صدرها ، على حين كان (نور) ينطلق بسيّارته فى بطء نسبىّ ، وسط حالة من الهرج ،



راحا يعدُوان عبْر ممرات المبنى ، التى تهدَّم نصفها ، والأشعة الأرجوانية تنهال على المكان ، وتسحق جدرانه سحقًا ..

والرُّعب سادت كل الشوارع والطرقات ، والجميع يتدافعون للهرب والفرار من الخطر ، إلى أى مكان ، وأى هدف ..

وغمغم (نور) فى حنق :

ــ يا إلهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟

هتفت (سلوى) :

ــ يبدو أنهم يدمرون كل أوجه حضارتنا .. لقد أعلن المذياع أنهم قد دمَّروا أبراج البث الهولوجرافى المجسَّم ، ولم يَعُد لدينا هولوفيزيون .. بل لم يَعُد لدى العالم كله مثله ، وها هم أولاء قد دمَّروا المبنى المركزى للكمبيوتر ، مما يقطع الصلة بين أجهزة الكمبيوتر فى البلاد ، ويعيدنا إلى عصر ما قبل الوحدة المركزية الأم .. يا إلهى يا (نور) .. إننا نعود إلى بدايات القرن الحادى والعشرين .

هتف فى حِدَّة :

ــ ليس هذا هو موطن الخطر يا (سلوى) ، فأنا أرتجف ، كلما تصوَّرت أن تمتد موجة التدمير هذه إلى المفاعلات النوويَّة ، فى أنحاء العالم .

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

ــ يا إلهى !! ستكون كارثة .

هتفت (سلوى) :

ـــ بل مأساة .

صاح (نور) :

ـــ ينبغي أن نعلم ما يحدث حولنا .

وهتف آمرًا كمبيوتر السيّارة :

ـــ المذياع .

وعلى الفور ، انطلق صوت مذياع السيّارة :

ـــ لقد دمّروا كل شيء .. المكتبات العامّة .. الكبارى والجسور .. لقد أصابوا برج (إيفل) فى (باريس) ، وسحقوه سحقًا ، وحطّموا تمثال الحرية الأمريكى ، وحوّلوا مبنى (الكريملين) فى (موسكو) إلى أنقاض(*) .. إنهم يدمّرون الحضارات والتاريخ والمستقبل .. إنهم يحطّمون كل شيء .

إنهم .....

انطلقت بغتة شوشرة قويّة ، انقطع بعدها الإرسال تمامًا ، وهتفت (نشوى) ، وهى تشير إلى سحابة سوداء ، تصاعدت من بعيد :

(*) الكريملين : مقر حكم الحزب السوفيتى .

ـــ انظروا .. لقد نسفوا محطة البث الإذاعى الجديدة .

ثم استطردت فى ارتياع :

ـــ وماذا عن (رمزى) ؟.. ماذا أصابه ؟

أوقف (نور) سيّارته فى حِدّة ، ثم هتف ، وهو يديرها يسارًا :

ـــ صدقت .. ينبغى أن نجمع شمل الفريق أوّلًا .

ثم عاد ينطلق صَوْب منزل (رمزى) ، وهو يستطرد :

ـــ سنلتقط (رمزى) أوّلًا ، ثم الدكتور (حجازى) فى طريقنا ، و (محمود) فى النهاية .

هتفت (نشوى) :

ـــ أسرع يا أبى .. أسرع .

هتف فى توتُّر :

ـــ هذه أقصى سرعة يسمح بها الزحام .. لقد غادر الجميع منازلهم ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت المقاتلات الفضائية فى الأفق ، وصرخت (سلوى) فى رُعب هائل :

ـــ لقد وصلوا

ولم تكد تتم هتافها ، حتى هوت الأشعة الأرجوانية الساحقة

على الرءوس ، وراحت تسحق السيّارات والمباني والبشر بلا تمييز ، فصرخت (نشوى) :

ـ إنها إبادة .. إبادة كاملة .

صاح وهو يتفادى حُزم الأشعة الأرجوانية في صعوبة ومهارة :

ـ كلّا .. إنهم لا يقصدون إبادة تامة ، فهم يحطِّمون فقط ما يجدونه في طريقهم ، باستثناء الأهداف المحدودة مسبقًا .. إنه نوع من استعراض العضلات ليس إلّا ..

هتفت (نشوى) في ارتياع :

ـ و (رمزى) ؟!

صاح في توتُّر :

ـ لقد وصلنا إلى منزله ، فهو في المنعطف التالي ، و .....

كان ينطق بعبارته ، وهو ينعطف بالفعل ؛ لذا فقد أنهاها بشهقة جزع ، وبضغطة قويَّة على كابحة السيّارة ، قبل أن يهتف :

ـ يا إلهي !!

ومع هتافه ، اتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) رُعبًا ..

كل هذا ؛ لأن منزل (رمزى) لم يكن في موضعه ..

كان هناك حطام فحسب ..

حطام منزل مسحوق ..

* * *

اتسعت عينا (نشوى) في رُعب هائل ، وهي تردِّد :

ـ (رمزى) .. مستحيل !!.. مستحيل !!

صاحت أمها ، وهي تضمّها إلى صدرها في حنان :

ـ كفى يابنتي .. إنه قدره .. إنه .....

صرخت (نشوى) في انهيار :

ـ لا .. لا .. مستحيل !!

صاح بها (نور) :

ـ كفى .

ثم هوَى على وجهها بصفعة قاسية ، اتسعت لها عيناها في ذُعر ، ثم لم تلبث أن انفجرت باكية ، على حين عاد هو ينطلق بالسيّارة ، هاتفًا في مرارة :

ـ لهذا أكره الحروب والدمار يا بنيّتي .. فهذه هي سمتها .. أن نخسر الأحبّاء والأصدقاء ، دون أن ندرى السبب .. هذه هي الحروب .

راح يقاوم دمعة عنيدة فى عينيه ، انحدرت من عينى (سلوى) ، وهى تردد فى ألم :

— نعم .. هذه هى سمة الحروب .

أما (نشوى) ، فقد ظلت تبكى فى مرارة ، وهى تستعيد كل ذكرياتها مع خطيبها (رمزى) ، وتجتر مرارتها ..

وأمام منزل الدكتور (حجازى) ، أوقف (نور) سيارته ، وقفز منها ، وهو يهتف :

— حمدًا لله .. منزله سليم .

راح يدق الباب فى عنف ، دون أن يحصل على استجابة ، فأسرع ينتزع مسدسه الليزرى ، ويطلقه على رتاج الباب ، ثم اندفع إلى الداخل ، وهو يهتف :

— دكتور (حجازى) .. أين أنت ؟

كان المنزل خاليًا تمامًا ، فهتف (نور) فى حنق :

— أين أنت ؟

ثم عاد أدراجه إلى سيارته فى سرعة ، وقفز داخلها ، وهو يهتف :

— إنه ليس هنا .

سألته (سلوى) فى جزع :

— أين ذهب ؟

صاح وهو ينطلق بسيارته .

— ليتنى أعلم .

قالها وتوقف أمام منزل (محمود) ، وهو يهتف :

— هذا المنزل سليم أيضًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى رأى (محمود) يغادر المنزل ، ويسرع إليه هاتفًا :

— كنت أعلم أنك ستأتى يا (نور) .. كنت أنتظرك .

كان يحمل حقيبته الخاصة ، التى تحوى جهاز فحص الإشعاع ، مع كمبيوتر صغير ، وألقاها داخل السيارة ، ثم قفز داخلها ، وهو يستطرد :

— هيا يا (نور) .. فلنذهب إلى منزل (رمزى) ، و .....

قاطعه (نور) فى مرارة :

— لم يعد المنزل هناك ..

اتسعت عينا (محمود) فى هلع ، وهو يهتف :

— يا إلهى !! .. لقد كنت أتحدث مع (رمزى) منذ قليل ، عبر جهاز التليفيديو ، قبل أن ينسفوا شبكة الاتصالات ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وازدادت عيناه اتساعًا ، وهو يستطرد :

— يا إلهى !! .. هل تعنى ؟

انفجرت (نشوى) باكية ، وهى تهتف :

— نعم يا (محمود) .. لقد خسرناه .. خسرنا (رمزى) .

اغرورقت عينا (محمود) بالدموع ، وهو يهتف فى ارتياع :

— خسرناه !!

ثم استطرد فى ألم ومرارة :

— رباه !! أية لعنة أحاقت بنا ؟!

هتف (نور) ، وهو ينطلق بالسيارة نحو مبنى إدارة المخابرات العلمية :

— لعنة الطمع يا (محمود) .. الطمع الذى يدفع المخلوقات إلى استعمار بعضها البعض ، والحصول على ما يملكه غيرها .. لقد ثبت أنها ليست صفة بشرية ، كما كنا نظن .. إنها صفة فضائية ، تملكها كل المخلوقات ، التى نطلق عليها اسم المخلوقات العاقلة .. تصوّر .. المخلوقات العاقلة وحدها تملك الصفة الاستعمارية .

صاحت (سلوى) فى مرارة :

— (نور) .. لست أحتمل المحاورات الفلسفية الآن .

قال فى أسف :

— يبدو أنك ستضطرين إلى احتمالها يا (سلوى) ، فلم يعد لدينا سواها .. لقد فقدنا فى الساعات الأولى للحرب كل

قوتنا ، وكل تاريخنا وحضارتنا ، ولم يعد لدينا سوى أن نتحاور فلسفيًا .

هتفت (سلوى) فى ألم :

— مستحيل يا (نور) !!.. مستحيل أن يفقد كوكب كامل حضارته ، وتاريخه فى لحظات !! مستحيل !!

قال (محمود) فى ألم :

— ولكن هذا ما يحدث بالفعل يا (سلوى) .. إنهم يدمرون مكتباتنا ، وكل المكتبات العامة فى العالم ، والمتاحف ودور الفنون والآداب ، و .....

لم يتم عبارته ..

لقد بترها عندما اندفع إلى الأمام ، إثر توقف سيارة (نور) بغتة ..

وهتف (محمود) فى حنق :

— ماذا حدث ؟

لم ينبس (نور) ببنت شفة ..

فقط أشار إلى منطقة خالية ..

منطقة كانت تحوى يومًا مبنى بالغ الأهمية والخطورة .. مبنى المخابرات العلمية المصرية ..

* * *

٧ — بلا أمل ..

هتفت (سلوى) فى مرارة هائلة :

— يا إلهى !!.. لقد ذهب المبنى يا (نور) .

وغمغم (محمود) فى انبهار :

— لقد قضوا على المخابرات العلمية .

صاح (نور) فى حزم :

— ليس بعد .

ثم قفز خارج سيّارته ، وهو يستطرد :

— الجهاز أقوى من أن يدمّره هؤلاء الأوغاد .

واندفع نحو المبنى المتهدّم ، وتبعه (محمود) و (سلوى) و (نشوى) ، وراح الجميع يخطون فوق الحطام فى حذر ، و (سلوى) تغمغم فى مرارة :

— ربّاه !! لقد سحقوا المبنى كله يا (نور) .. لقد سحقوه سحقًا .

أجابها فى جدّة :

— المبنى العلوى فحسب .

— هتفت فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟

قال فى توتّر :

— أعنى أن ذلك المبنى ، الذى كنا نلتقى فيه ، عبارة عن مبنى إدارى ، أمّا الأعمال السّرّيّة الفعلية ، فكلها تدور تحت الأرض ، على عمق مائتى متر ، فى المبنى السّرّى .

وراح يتلفّت حوله فى انفعال ، مستطردًا :

— المهم أن نجد مدخله .

ثم أسرع نحو أحد الأجزاء ، هاتفًا :

— لقد كان هنا .

تعاون الجميع فى رفع الأنقاض فى سرعة وهمّة ، و (نشوى) تتساءل فى مرارة :

— أأنت واثق من الموضع يا أبى ؟

أجابها متوتّرًا :

— تمام الثقة .. فهنا كانت توجد حجرة خالية ، ينبعث داخلها ضوء وردى خافت ، وأسفلها كان ذلك المصعد ، أقصد المهبط ، الذى يقود إلى الإدارة السّرّيّة ، وحجرة القائد الأعلى .

واصلوا عملهم فى همّة ونشاط ، حتى ظهرت أرضية الحجرة ، فهتفت (سلوى) :

ــ ها هى ذى .

صاح (نور) :

ــ هنا يوجد مدخل المهبط الخاص ، ولكننى لست أدرى كيف يمكن حمله على الظهور ، دون إذن من القائد الأعلى ؟

قالت (نشوى) فى حماس :

ــ اترك لى هذه المهمّة يا أبى .

انحنت تفحص الأرضية فى توتّر ، ثم لم تلبث أن قالت لـ(محمود) :

ــ هل لك أن تعيرنى حقيبتك ؟

تمتم فى دهشة :

ــ حقيبتى ؟!

ثم عاد يهتف :

ــ آه !! حقيبتى .. سأحضرها على الفور .

أسرع إلى السيّارة ، وانتزع منها الحقيبة ، ثم اندفع عائدًا إلى حيث وقف رفاقه ، و .....

وفجأة ، دفعته قوّة هائلة إلى الأمام ، ودوّى من خلفه انفجار قوى ..

انفجار سيارة (نور) ..

* * *

حدث كل شىء فى سرعة مذهلة ..

ظهرت تلك المقاتلة الفضائية فى السماء ، وانطلقت منها تلك الأشعة الأرجوانية ، وأصابت سيّارة (نور) ..

وانفجرت السيّارة ..

وأطاحت بـ(محمود) ، وألقته وسط الحطام ..

ثم اختفت المقاتلة ، وهى تكمل طريقها ..

وطارت حقيبة (محمود) فى الهواء ..

وقفز (نور) يلتقطها ..

كان يخشى أن يفقدها ، أو أن يتركها تسقط أرضًا ..

كان يخشى أن يفقد معها آخر أمل ..

والتقطها ..

التقطها وهبط على قدميه ، وهو يهتف :

ــ أأنت بخير يا (محمود) ؟!

نهض (محمود) شاحبًا ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. لو أنك تقصد جسديًا ، فالجواب هو نعم .



وفجأة ، دفعته قوة هائلة إلى الأمام ، ودوَى من خلفه انفجار قوى .. انفجار سيارة (نور)

هتفت (نشوى) :

ــ فلنبدأ عملنا إذن

واختطفت الحقيبة من يد والدها ، وهى تستطرد فى انفعال :

ــ مادام المهبط السّرّى هو أملنا الوحيد والأخير .

راحت تكشف ما تبقى من أرضية الحجرة ، وتفتح حقيبة (محمود) ، وهى تقول :

ــ لاريب أنه يُفتح بواسطة شفرة سرّيّة خاصّة ، بالغة التعقيد ؛ لذا فهى تحتاج إلى برنامج كمبيوتر شديد التعقيد مثلها .

أسرعت أصابعها تتقافز فوق أزرار الكمبيوتر ، وتتنقل فوقها فى خفة ، وهى تتابع :

ــ لقد وضعت برنامجًا خاصًا ، للبحث عن الشفرات السّرّيّة المعقّدة ، بسرعة فائقة ، تبلغ عشرة أضعاف السُّرعة الطبيعية ، وكنت أنوى التقدّم به ؛ لنيل درجة الماجستير فى برمجة الكمبيوتر .

تمتم (نور) فى حماس :

ــ رائع .

ثم أردف فى انفعال :

— لو أنك نجحت فى دفع ذلك المهبط إلى العمل ، فستنالين
ماهو أفضل من درجة الماجستير ..
وصمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :
— ستنالين الحياة .
انتهت أصابعها من ضغط الأزرار ، وهتفت :
— هاهو ذا .
حدق الجميع فى شاشة الكمبيوتر ، التى راحت ترسم عددًا
غير محدود من الأرقام والرموز ، فى سرعة خرافية ، وترصّها
جنبًا إلى جنب ، مع تبادل مواضعها وأشكالها ، و .....
وتعلّقت عيون الجميع بالشاشة ، التى تراقصت طويلاً ،
ثم استقرّت فوقها مجموعة من الأرقام والرموز ، فى ترتيب شديد
التعقيد ، وهتفت (نشوى) فى انفعال :
— لقد نجحنا .
ارتفع إثر كلمتها صوت تكّة خافتة ، ثم بدأ جزء مستدير
من الأرض فى الهبوط ، فصاح (نور) :
— هيّا .. سيهبط بنا أو دوننا .
قفز الجميع إلى الدائرة الهابطة ، وتلاصقوا وهم يهبطون
داخل أسطوانة شفّافة ، يغمرها ضوء بنفسجىّ هادئ ،
وغمغمت (نشوى) :

— أكنت تعبر ذلك الطريق دومًا يا أبى ؟
تمتم فى خفوت :
— ولم يتوقّف عن إبهارى لحظة واحدة يا بنيّتى .
واصلوا هبوطهم فى صمت ، بعد هذه العبارة ، حتى
استقرّت بهم الأسطوانة الشفّافة أرضًا ، على عمق مائتى متر
من سطح الأرض ، فأسرعوا يغادرونها ، و (نور) يهتف :
— من هنا .
أسرع الجميع يعدون عبْر ممر طويل ، و (سلوى) تهتف :
— (نور) .. أيبدو المكان عادةً خاليًا هكذا ؟!
أجابها فى توتّر :
— لا .. وهذا ما يقلقنى .
هتف (محمود) فى هلع :
— يقلقك ؟!.. فقط ؟!
صاح (نور) :
— فلنؤجل هذا لما بعْد .. لقد بلغنا حجرة القائد الأعلى .
هتفت (نشوى) فى انبهار :
— شخصيًا ؟!
توقّف (نور) أمام الباب حائرًا ، وهتف فى توتّر :

— يبدو أننا سنحتاج إلى برنامج مرّة أخرى ياعزيزتى (نشوى) .
قال (محمود) فى انفعال :
— ها هى ذى الحقيبة ..
التقطت منه (نشوى) الحقيبة ، وهى تقول فى انفعال :
— فليكن ، وأتعشّم ألا تكون شفرة باب حجرة القائد الأعلى من نوع شديد التعقيد ، أو .....
قبل أن تتم عبارتها ، انفتح الباب فى هدوء ، فهتف (نور) :
— يا إلهى .. إنه هنا .
وفى لهفة ، تطلّع عبْر فتحة الباب إلى القائد الأعلى ، وإلى الدكتور (عبد الله) ، قبل أن يغمغم الأوّل فى ارتياح :
— (نور) !.. كنت أنتظرك أيها الرائد .
رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول فى حزم :
— الرائد (نور الدين) فى خدمتك ياسيّدى .
ألقى القائد الأعلى نظرة سريعة على زوجة (نور) وابنته وصديقه ، ثم لوح بكفّه ، قائلاً :
— دعك من هذا يا (نور) .. لقد خسرنا معركتنا هذه المرّة ، ولم تعُد هناك فائدة من الالتزام بالرسميّات .

هتف (نور) فى حزم :
— إننا لم نخسر معركتنا بعد ياسيّدى .
أجابه الرجل فى مرارة .
— بل خسرناها يا (نور) .. العالم كله خسرها .. هؤلاء الغزاة أقوى ألف مرة من كل ما بلغه خيالنا ، فى أبشع كوابيسنا وتصوُّراتنا الانهزامية يا (نور) .. لقد انقضُّوا علينا فى عنف يفوق الوصف ، وقاتلونا بأبشع الصُّور .. إنهم يحطِّمون ويدمِّرون كل ما له صلة بحضارتنا وتاريخنا .. إنهم .....
قاطعه الدكتور (عبد الله) فى هلع :
— باختصار يا (نور) .. إنهم يحطِّمون آدميتنا .
غمغمت (سلوى) فى لوْعة :
— آدميتنا ؟!.. يا إلهى !
لوّح الدكتور (عبد الله) بذراعه ، هاتفًا :
— إنك لن تتصوّر ما فعلوه .. لقد .....
قاطعه فجأة أزيز مخيف ، فامتقع وجهه ، وهتف فى ارتياع :
— يا إلهى !!.. المفاعلات الذريّة .
اتسعت عيون الجميع فى رُعب ، وهتف القائد الأعلى ، وهو يضغط أحد الأزرار فوق مكتبه :

— ربّاه !! هذا ما خشيته .

تمتم (نور) فى مرارة :

— وأنا أيضًا .

وفى هدوء ، أضيئت شاشة إلى يسار القائد الأعلى ، وظهرت فوقها صورة لأحد المفاعلات الذرّيّة المصرية ، وفوقها تحلّق تلك المقاتلات الفضائية ، وهتفت (سلوى) فى دهشة :

— عجبًا !!.. كنت أظن أنهم قد حطّموا كل وسائل البثّ .

أجابها القائد الأعلى فى توتّر :

— إنه راصد خاصّ مباشر .

عادت تغمغم :

— عجبًا !!

وقال الدكتور (عبد الله) فى توتّر بالغ ، وهو يشير إلى شاشة الراصد :

— هذا الذى ترينه هو مفاعل الواحات البحرية النووى ، أضخم مفاعلاتنا النوويّة على الإطلاق ، وهاهىَ ذى تلك المقاتلات الفضائية تحوم حوله ، ومن الواضح أنها ستهاجمه .

هتفت (نشوى) فى رُعب :

— يا إلهى !!.. الإشعاعات الذّرّيّة التى ستنجم عن تفجيره ، ستلوّث ثلث (مصر) تقريبًا .

غمغم (محمود) فى ألم :

— لو حسبنا ذلك ، بضرب نسبة التلوّث فى عدد المفاعلات الذّرّيّة ، فسنجد أن الأرض كلها ستلوّث بالإشعاعات الذّرّيّة إلى الأبد .

تراجعت (سلوى) فى رُعب ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!.. مستحيل !

صاح (نور) ، وهو يشير إلى الشاشة :

— ولكنهم لا يهجمون .. إنهم يحومون فحسب ، و .....

ظهرت بغتة فى طرف الشاشة دائرة أسطوانية ضخمة ، تسبح فى الفضاء ، متجهة نحو مجموعة المقاتلات ، فبتر (نور) عبارته ، مغمغمًا فى حَيْرة :

— ما هذا ؟

تمتم الدكتور (عبد الله) فى دهشة :

— لست أدرى .. إنه جسم لامع ، أشبه بأسطوانة موسيقية ، أو .....

بتر عبارته ، عندما استقرَّت تلك الأسطوانة فوق المفاعل النووى تمامًا ، وهتف فى ذُعْر :

— يا إلهى !!.. إنهم سـ ......

قبل أن يتمَّ عبارته ، كانت الأسطوانة اللامعة قد أطلقت أشعتها الأرجوانية نحو المفاعل ، و .....

وانفجر مفاعل الواحات البحرية النووى ..

* * *



٨ — الانهيار ..

توقف ذلك النَّيزك الهائل ، خارج المجال الجوِّى الأرضى ساكنًا ، هادئًا ، بعد أن دمَّر كل أقمار اللَّيزر ، التى تحيط بالأرض ، دون تمييز دولىّ أو عنصرىّ ، وفى هدوء ، راحت قشرته الخارجية ، الشبيهة بالنَّيزك ، تذوب وتتلاشى ، لتبدو من أسفلها هيئته الحقيقية ..

لقد كان سفينة فضاء ..

سفينة هائلة ..

سفينة من معدن مجهول ، وتصميم مخيف ..

كانت سفينة القيادة ..

قيادة الغزو ..

ومن داخلها ، كانت تكتظ بأجهزة المراقبة والمتابعة ، التى ترصد وتنقل كل ما يدور ، مما تلتقطه آلات التصوير ، الملحقة بالمقاتلات الفضائية ، فى كل أنحاء العالم ..

وكانت هناك قاعة واحدة ، تخلو من كل الأجهزة ، فيما عدا جهاز نقل الأوامر ..

وكانت قاعة الإمبراطور ..

إمبراطور (جلوريال) .. كوكب الغزاة ..

و (جلوريال) هذا كوكب مشابه للأرض ، فى مناخه ، وغلافه الجوى ، ولكنه يسبقه فى نهج التطوُّر ، ويختلف عنه فى حجم سكانه ..

فسكان (جلوريال) عمالقة لا يقل طول الواحد منهم عن المترين ، وهم قوم شداد غلاظ قُساة ، لم يتوقفوا منذ قرنين من الزمان عن القتال والغزو ..

الكوكب الوحيد الذى قهرهم ، كان كوكب (أرغوران) ، الذى ساد الكون بعض الوقت ، ثم فكَّر فى غزو الأرض ، وعندما أرسل قائده لتفقُّد أحوالها ، أسر (نور) ورفاقه ، وعاد بهم إلى كوكبه ، فهزموه هناك ، وانتصروا(*) ..

منذ ذلك الحين ، خلا الفضاء لمحاربى (جلوريال) ، فانقضُّوا على (أرغوران) ، بعد أن غادره (نور) ، واحتلوه ، وحصلوا منه على كل الوثائق الخاصة بالأرض ، وعكفوا على دراستها ، ثم أعدُّوا حملة الغزو وخطته ..

(*) راجع قصتى (معركة الكواكب) ، و (جحيم أرغوران) .. المغامرتين رقم (٥٨) ، و (٥٩) .



وكانت هناك قاعة واحدة ، تخلو من كل الأجهزة ، فيما عدا جهاز نقل الأوامر .. وكانت قاعدة الإمبراطور ..

وانطلقوا نحو الأرض ..

ومن سفينة القيادة الإمبراطورية ، جلس إمبراطور (جلوريال) يراقب ما يحدث بعين الرضا ، وهو يغمغم بلغة عجيبة ، لا نظير لها قطُّ على كوكب الأرض :

— رائع .. إننا ننتصر على طول الخط .

انحنى مستشاره (جلاكس) ، وقال فى احترام :

— لقد أخبرت سموكم من قبل ، أن الأرضيين أضعف من أن يجابهوا قواتنا يا مولاى .

هزَّ الإمبراطور (آغرو) رأسه موافقًا ، وهو يقول :

— هذا واضح يا مستشارى الأكبر .. صحيح أنهم يشبهوننا كثيرًا ، فيما عدا وجود دائرة عجيبة وسط عيونهم ، يحيط بها غلاف أبيض من الناحيتين ، بعكس عيوننا الحمراء ، المكوَّنة من قطعة واحدة ، وبشرتهم الوردية والسمراء والسوداء ، التى تختلف حتمًا عن بشرتنا الخضراء الجميلة ، وحجمهم الضئيل ، الذى لا يتجاوز فى المتوسط ما يقل عن أقصر رجالنا بعشرين سنتيمترًا على الأقل ، إلا أنهم يصابون بالرُّعب فى سهولة ، فقد ولَّدت مقاتلاتنا الهَلَع فى قلوبهم على الفور .

غمغم (جلاكس) محذِّرًا :

— لا تجعل هذا يخدعك يا سمو الإمبراطور ، فرعبهم هذا يعود إلى عامل المفاجأة ، وإلى غرورهم السابق بقوتهم ، وتصوُّرهم أنهم أقوى مخلوقات الكوْن ، مما أصابهم بشبه انهيار ، حينما تبيَّن لهم فى وضوح ، أنهم ليسو كذلك ، ولكنهم ما إن يتجاوزوا تلك المرحلة ، حتى تجدهم أمامك مقاتلين أشداء ، لا يشق لهم غبار .

ابتسم الإمبراطور فى سُخرية ، وهو يقول :

— ومن سيمنحهم الفرصة لذلك ؟

ومال إلى الأمام ، فوق عرشه البلُّورى ، مستطردًا :

— لقد سيطرنا على الكوكب سيطرة تامة ، وأمرت منذ لحظات بإطلاق أقمارنا الصناعية حوله ، بحيث نضمن السيطرة الدائمة على سكانه أيضًا .

وابتسم فى سُخرية ، مردفًا :

— أعنى من سيتبقى منهم .

ابتسم (جلاكس) ابتسامة هادئة ، وقال :

— أيظن مولاى ، أن هذا سيعوق أهل الأرض عن المقاومة ؟

هزَّ الإمبراطور (آغرو) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. ولكنه سيجعلها أكثر صعوبة .

وتنهّد وهو يعتدل ، ويداعب ذقنه ، مردفًا :

ـ لقد عكفت لأسبوع كامل على دراسة تلك الوثائق والأفلام التسجيلية عن الأرض ، والتى وجدناها فى (أرغوران) ، ودرست أسباب فشل كوكب (أرغوران) فى هزيمة أهل هذا الكوكب ، وبعدها توصّلت إلى حقيقة هامة ، هى مفتاح النصر .

سأله الحكيم (جلاكس) فى هدوء :

ـ ما تلك الحقيقة يا صاحب السمو الإمبراطور ؟

لوّح الإمبراطور بكفّه ، التى تحمل ما يشبه الزعانف المطاطية بين الأصابع ، وقال فى ترفّع إمبراطورى :

ـ الحضارة ..

لم يفهم الحكيم ما يعنيه إمبراطوره ، فغمغم مستفهمًا :

ـ ماذا يا مولاى ؟!

عاد الإمبراطور يلوّح بكفّه فى عظمة ، وهو يقول :

ـ الحضارة هى التى تدفع أصحابها إلى القراءة .. وأهل الأرض يملكون الكثير منها ، وخاصةً فى الدول ذات التاريخ .. لست أقصد بالحضارة تلك التقنية التكنولوجية ، وإنما أقصد

حضارة العقول : الفنون ، والآداب ، والتاريخ .. الحضارة الراقية ، التى تصنع منهم قومًا مقاتلين .

وانقلبت سحنته بغتة ، وومضت عينه الحمراء ببريق دموى ، وهو يستطرد :

ـ سأسحق هذه الحضارة .

تراجع الحكيم المستشار فى حركة حادّة ، وكأنما أفزعه ذلك الأسلوب ، وغمغم فى مزيج من الدهشة والتوتّر :

ـ تسحقها ؟!

ضرب الإمبراطور مسند عرشه بقبضته ، وهو يهتف :

ـ نعم .. أسحقها .. لقد دمّرت كل ما يحويه كوكبهم من مظاهر الحضارة : المتاحف .. والمكتبات العامة ، والآثار ، وكل شىء .

عقد المستشار حاجبيه الكثّين ، وهو يقول :

ـ عفوًا يا مولاى ، ولكن هذا لا يمحو الحضارة ، فالحضارة ليست فى المبانى والمقتنيات .. إنها فى العقول والنفوس .

هتف الإمبراطور فى غضب :

ـ سأمحوها منها أيضًا .

سأله المستشار فى لهجة رجل نفد صبره :

ـ كيف ؟

تراجع الإمبراطور فى عرشه ، وأمسك ذقنه بسبابته وإبهامه ، وابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا مستشارى العجوز .. إن لدىّ خطة .. خطة لا تقبل الفشل .

* * *

انفجر مفاعل الواحات البحرية ..

انفجر المفاعل النووى الضخم ..

وصرخت (نشوى) فى هلع ..

وشهقت (سلوى) ..

وتراجع (محمود) ..

وعقد (نور) حاجبيه فى شدة ..

وهتف الدكتور (عبد الله) :

ـ الرحمة يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقد اتسعت عيناه فى قوة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

كان الستة يتوقعون حدوث انفجار نووى رهيب ..

أجابه (نور) فى حدة :

ـ إنهم يحتاجون إليه لهدف ما حتمًا .

تردد الدكتور (عبد الله) ، وقال :

ـ ماذا لو أنهم .....؟

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صفير قوى ، داخل حجرة القائد الأعلى ، وراحت كل المصابيح تضىء وتنطفئ فى سرعة ، فشحب وجه القائد الأعلى ، وهتف :

ـ يا إلهى !!.. لقد توصلوا إلينا .

ثم استدار إلى الباقين ، مستطردًا فى يأس :

ـ إنهم يقتحمون المكان .. يقتحمون آخر أمل لكوكب الأرض

* * *



كانوا ينتظرون رؤية تلك السحابة الهائلة ، الشبيهة بفطر عش الغراب ، التى تميّز الانفجارات النوويّة ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد بدأ الانفجار ، ثم تبدّد فى سرعة ، وراحت الأسطوانة الطائرة تتألق فى قوة ، كما لو أنها تمتصّ الإشعاعات الذرية فى شراهة مخيفة ..

وخبا الانفجار فور حدوثه ..

وامتصت الأسطوانة طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لزحزحة كوكب الأرض كله من موضعه ..

وابتعدت الأسطوانة ..

وهتف القائد الأعلى :

— ماذا يفعلون ؟!

أجابه الدكتور (عبد الله) فى توتّر :

— إنهم ينسفون كل المفاعلات النووية ، ويختزنون الطاقة الناجمة عن ذلك فى تلك الأسطوانات ، لهدف مجهول .

تمتم (محمود) فى شحوب :

— لا ريب أنه هدف هائل ، فسيحصلون بأسلوبهم هذا على قدر لا يمكن تخيّله من الطاقة .

٩ — الأمـل ..

عندما أيقنت سفينة القيادة الإمبراطورية من النصر ، دارت حول نفسها فى بطء ومهابة ، ثم راحت تهبط إلى الأرض ..

وبحسبة بسيطة ، أجرتها أجهزة الكمبيوتر المتطوّرة ، التى تمت تغذيتها بكل المعلومات عن الأرض ، اختارت سفينة القيادة صحراء (مصر) الغربية مستقرًا لها ..

ومن العجيب أنها قد اختارت نفس البقعة ، التى كان يحتلّها من قبل ، مركز الاستشعار الفضائىّ المصرىّ ..

ولكن المركز لم يكن هناك ..

كانت الأشعة الأرجوانية قد سحقته تمامًا ، وبات من المستحيل تمييز بقاياه ، وسط رمال الصحراء ، الممتدّة بلانهاية ..

وفى وقار ورهبة ، هبطت المركبة الفضائية ، واستقرّت ..

وداخلها كان الحكيم (جلاكس) يقول :

— لماذا هذه البقعة بالذات يا سموّ الإمبراطور ؟

ابتسم الإمبراطور ابتسامة صفراء ، وقال :

ـــ سَل الكمبيوتر أيها الحكيم ، فهو الذى انتقاها لا أنا .

قال الحكيم فى هدوء :

ـــ مولاى يعلم ما يَخفَى على شخصى المتواضع .

ابتسم الإمبراطور فى زهو ، وقال :

ـــ إنها بقعة تتوسَّط العالم كله ، ومنها يمكن إصدار الأوامر للجميع ، ثم إنه هنا بالذات ، نشأت أعظم حضارات تاريخهم ، وأقصد بذلك حضارة كوكبهم ، لا تلك الحضارات الواردة ، مثل (أتلانتس) ..

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـــ ثم إنه هنا يوجد الشخص الذى ستبحث عنه قواتنا ، والذى لا بدَّ أن يتم القضاء عليه أوَّلاً ، ليستقرّ بنا المقام هنا إلى الأبد .

قال الحكيم فى دهشة :

ـــ شخص ؟!.. شخص واحد يا مولاى ؟!.. عجبًا !!.. أيخشى مولاى ، بكل قوته وسطوته ، وفى ذروة انتصاره ، من شخص واحد ؟!.. أى شخص هذا يا سمو الإمبراطور ؟!..

تطلّع إليه الإمبراطور لحظة ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـــ يا لسخافة المستشارين !!

اتسعت عينا الحكيم فى دهشة واستنكار لهذا القول ، وتراجع على نحو اعتراض ، إلا أن الإمبراطور اعتدل فوق عرشه البلّورى ، ومال نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

ـــ أتعلم من هذا الشخص أيها الحكيم (جلاكس) ؟.. إنه ذلك الشاب ، الذى هزم عمالقة (أرغوران) فى كوكبهم .. إنه الأجنبى الوحيد ، الذى حمل تاريخهم اسمه بحروف كبيرة .. إنه (نور) .. الرائد (نور الدين) ..

اندفع الحكيم يقول :

ـــ مهما يكن يا مولاى .. فإنه مجرَّد أرضىّ .. أليس من المحتمل أن يكون قد لقِىَ حتفه ، مع الهجوم الأوَّل ؟

ضرب الإمبراطور مسند عرشه البلّورى فى حنق ، وهو يهتف :

ـــ كلّا .. ليس محتملاً حتى أنه قد فعل .

هتف الحكيم فى عناد :

ـــ من يمكنه أن يجزم ؟

صاح الإمبراطور فى غضب :

ـــ أنا .

ران الصمت لحظة ، حدّق خلالها الحكيم فى وجه الإمبراطور فى حَيْرة ، قبل أن يشير الإمبراطور إلى صدره فى حِدّة ، مستطردًا :

ـ عندما يموت ، سأشعر أنا بذلك .

غمغم الحكيم فى مزيج من الدهشة والحَيْرة :

ـ تشعر ؟!

ثم بدا له بغتة ، أن الأمر يحمل حتمًا ، ما هو أكثر بكثير من مجرّد القضاء على أرضىّ عادىّ ، وأن الإمبراطور لن يفصح عن دخيلة نفسه أبدًا ، فآثر الصمت ، ووقف فى مكانه ساكنًا بضع لحظات ، قبل أن يردف الإمبراطور فى صوت مُختنق :

ـ لقد أمرت قواتنا باقتحام مقر إدارة مخابراته منذ قليل ، ولا ريب أنهم قد فعلوا الآن ، ولكنهم لن يقتلوه .. لقد أمرتهم بإحضاره حيًا .

وفى غضب هائل ، لم يبدُ له الحكيم سببًا ، دقّ مسند عرشه بقبضته فى عنف رهيب ، وهو يستطرد :

ـ سأقتله أنا .. أنا بنفسى .

وهنا أدرك الحكيم أن إمبراطوره قد غزا الأرض ، قاصدًا هذا الأرضىّ بالذات ..



دقّ مسند عرشه بقبضته فى عنف رهيب ، وهو يستطرد :
ـ سأقتله أنا .. أنا بنفسى .

هذا الأرضىّ الذى يحمل اسمًا مرادفًا للضياء ..
اسم (نور) ..

* * *

شحبت وجوه الجميع ، عندما سمعوا القائد الأعلى يقول إن المبنى السرّى قد تم اقتحامه بواسطة الغزاة واتجهت أبصارهم إلى شاشة الراصد ، وهو يستطرد فى انفعال :

— لقد فعلوا حتمًا ..

نقلت إليهم شاشة الراصد الداخلى — ولأول مرة — صورة الغزاة ..

وكان ذلك مخيفًا ..

لقد رأوا عشرة من العمالقة ، يبلغ طول أقصرهم المترين على الأقل ، خضر الوجوه ، حمر العيون بلا قرنية ، يرتدون ثيابًا زرقاء لامعة ، وخوذات شفافة ، تنقسم عند موضع الأذنين ، وفيما عدا ذلك ، كانت ملامحهم تشبه البشر ، من حيث التكوين التشريحى ، وأسلوب الحركة ، والملامح ..

وكان كل منهم يحمل بندقية ، تشبه إلى حد كبير بنادق اللّيزر الأرضية ..

وكانوا يهبطون عبْر المهبط السرّى ، واحدًا بعد الآخر ..

وصاحت (نشوى) فى ارتياع :

— يا إلهى !!.. كيف فعلوا ذلك ؟!.. كيف نجحوا فى تشغيل المهبط ؟!

هتف بها القائد الأعلى :

— لم يعد ذلك يهم يا بنيّتى .. لقد فعلوها . وهم الآن فى طريقهم إلى هنا .

انتزع (نور) مسدسه اللّيزرى من غمده ، وهو يهتف فى صلابة :

— سنثبت لهم أن حياتنا باهظة الثمن .

صاح القائد الأعلى :

— كلّا يا (نور) .. كلّا يا ولدى .. لن أسمح لك بالمخاطرة .

هتف (نور) مستنكرًا ..

— ولكن يا سيّدى ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

— ليس هذا من شأنك .. إننى أحتاج إليك لمهمّة أكثر خطورة .. بل العالم كله يحتاج إليك من أجلها .

كانت معانى الكلمات أضخم بكثير ، مما يُمكن أن يتصوّره

أن ينتظره (نور) ، فى مثل هذه الظروف ؛ لذا فقد هتف فى انفعال :

— حياتى فى خدمة الوطن يا سيِّدى .

أسرع القائد الأعلى يضغط زرًا فى مكتبه ، فانفتحت فجوة سرّيّة ، اختطف من داخلها حقيبة صغيرة مربّعة ، ناولها إلى (نور) ، وهو يقول :

— خذها يا ولدى .. احرص عليها حرصك على حياتك .. بل أكثر من ذلك .

سأله (نور) فى دهشة :

— ما هذه يا سيِّدى ؟

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

— منذ سنوات ، يضع لنا كمبيوتر خاص عدة تصوُّرات ، لما يمكن أن يحدث على الأرض ، إذا ما نجح بعض الغزاة فى احتلال الأرض ، وفى إحدى افتراضات الكمبيوتر الوهمية ، أشار إلى احتمال أن يلجأ المحتلون إلى تدمير كل حضارتنا وتاريخنا ؛ لذا فقد عمدنا إلى تدوين كل تاريخ العالم ، وفنونه ، وحضارته ، وعلومه ، على أسطوانات ميكروكمبيوتر فائقة الحساسية ، ستجد فيها ما يمكنه أن يعيد إلى الأرض حضارتها

كاملة .. حتى لوحات عظماء الفن ، والنوت الموسيقية لأعظم عباقرة التاريخ ، إلى جوار التصميمات الكاملة لكل المخترعات والمكتشفات .. وهذه الحقيبة هى أمل الأرض الوحيد ، فى أن تستعيد حضارتها يومًا ، وإلا فسترزح حتى الأزل ، تحت نير الاحتلال .

تناول (نور) الحقيبة بأصابع مرتجفة ، وهو يغمغم :

— إنها مسئولية رهيبة يا سيِّدى ، وهؤلاء الغزاة يقتحمون المكان ، و ..... قاطعه القائد الأعلى :

— دعك منهم .. سأبقى هنا للتصدّى لهم ، أما أنت ورفاقك ، فستغادرون المكان من هنا .

قالها وضغط زرًا آخر ، فانزاحت خريطة العالم الضخمة من أمامه ، لتكشف عن ممر طويل ، يمتد إلى ما لا نهاية ، وهو يقول :

— سيقودكم هذا الممرّ السرّى إلى وسط المدينة ، ويمكنكم البقاء فيه لمدّة عام كامل لو أردتم .

قال (نور) فى حزم :

— إذن يمكننا أن نذهب كلنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال :

— كلا ياولدى ، لابدّ أن يبقى أحدنا هنا ، ليدمّر الأزرار ، بعد رحيلكم .

هتف (نور) :

— ألا يمكن أن ...... ؟

قاطعه دوىّ الأشعة الأرجوانية لبنادق الغزاة ، وهى ترتطم بباب مكتب القائد الأعلى ، الذى هتف :

— هيّا .. اذهبوا .. لاوقت للجدل .

ثم تشبّث بذراع (نور) ، مستطردًا :

— لاتتردّد .. إنه مصير الأرض كلها .. هيّا .

ولم يتردّد (نور) ..

اندفع مع رفاقه إلى الممر السرّى ؛ وراحوا يعدون فيه بسرعة ، وهتف القائد الأعلى فى الدكتور (عبد الله) :

— اذهب يا (عبد الله) .. اذهب بسرعة .

أخرج الدكتور (عبد الله) من جيب معطفه مسدسًا ليزريًا ، وهو يقول فى حزم :

— سأبقى .

ثم أطلق أشعة مسدسه على الأزرار ، الذى انفجرت على الفور ، وأسرع باب الممر السرّى يُغلق ، على حين هتف القائد الأعلى :

— اذهب قبل أن تضيع الفرصة .

صاح الدكتور (عبد الله) فى حزم :

— لن أذهب .

ثم أضاف ، وهو يحاول عبثًا أن يبتسم :

— ثم إن الموت أفضل كثيرًا ، من البقاء فى ظل الاحتلال .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اقتحم العمالقة باب الحجرة ، وانطلقت خيوط الأشعة فى المكان ..

* * *



١٠ — الهـروب ..

توقّف أحد رجال الإمبراطور (آغرو) عند مدخل قاعته الإمبراطورية ، ورفع قبضته المضمومة إلى أعلى ، وهو يقول :

— فليحى الإمبراطور العظيم .

أشار إليه الإمبراطور بكفّه ، ليسمح له بالدخول ، فاعتدل الرجل فى ثبات ، وخلع خوذته الشفّافة ، وحملها تحت إبطه ، وهو يعبر القاعة فى خطوات قوية ، حتى بلغ موضع إمبراطوره ، فانحنى أمامه فى احترام ، حتى سمعه يقول فى برود :

— حسنًا .. ماذا هناك ؟

اعتدل الرجل ، وأجاب فى قوة :

— تمت السيطرة على قارات الكوكب كلها يا مولاى .. فلقد أعلنت القارة الشمالية الغربية ، التى يطلقون عليها اسم (أمريكا الشمالية) استسلامها ، بعد تدمير كل وسائلها القتالية ، وامتصاص طاقة صواريخها ذات الرءوس النوويّة تمامًا ، وانفجار مدافعها اللّيزرية ، وكذلك فعلت القارة

الجنوبية ، التى تحمل نفس الاسم ، أما عن (آسيا) ، فلقد استسلمت أعظم قواها ، تلك المعروفة باسم (الاتحاد السوفيتى) ، بعد أن اضطررنا لقتل وتدمير وسحق ربع سكانها تقريبًا ، وبعدها استسلمت (أوروبا) دون قيد أو شرط ، وكذلك (أستراليا) ، أما (إفريقيا) ، وذلك الجزء المعروف باسم (الشرق الأوسط) ، فهم يواصلون العناد والتصدّى .

عقد الإمبراطور حاجبيه فى غضب ، وهتف وهو يلوّح بذراعه :

— واصلوا مهاجمتهم وتحطيمهم .. حطّموا وانسفوا كل آثارهم .. كل منازلهم .. أريد أن يستسلموا حتمًا .

أجابه الرجل فى حزم :

— سيفعلون يا مولاى .

ثم ظهر التردُّد على وجهه لحظة ، فسأله الإمبراطور فى عصبيّة :

— حسنًا .. ماذا هناك ؟

تردّد الرجل لحظة أخرى ، ثم أجاب :

— مولاى .. لقد أمرتنا بتدمير كل حضاراتهم وآثارهم ، ولكن .....

هتف به الإمبراطور ساخطاً :

ـ ولكن ماذا ؟

حسم الرجل تردُّده ، وأجاب :

ـ هناك بناءان ، عجز رجالنا عن تدميرهما تمامًا .

هتف الإمبراطور فى حنق :

ـ ماهما ؟

أجاب الرجل :

ـ تلك الأهرامات الثلاثة فى (مصر) .. إنها تمتص أشعتنا الأرجوانية ، وتشتتها لسبب ما ، بحيث نعجز عن تدميرها تمامًا .

هتف الإمبراطور فى سُخط :

ـ وماذا أيضًا ؟

ارتجف صوت الرجل ، وهو يقول :

ـ بناء صغير فى (السعودية) يامولاى .. بناء يحيط به ملايين البشر .

تراجع الإمبراطور ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـ بناء صغير ؟!

بدا صوت الرجل هلعًا ، وهو يقول :

ـ نعم يامولاى .. بناء فى نقطة مركز كوكبهم تمامًا ، ما إن يقترب رجالنا منه ، حتى يزلزل الرُّعب كيانهم ، ويفقدون السيطرة على مقاتلاتهم ، دون أن تلتقط أجهزة مركباتهم أيّة مؤثرات خارجية غير مألوفة .

خفت صوت الإمبراطور ، حتى بات أشبه بالهمس ، وهو يتمتم :

ـ أى بناء هذا ؟

كان صوت الرجل يُوحى بأنه يُعانى رُعبًا هائلًا ، وهو يجيب :

ـ إنهم يطلقون عليه اسم الـ .. الـ .....

هتف به الإمبراطور :

ـ الـ (ماذا) ؟

صاح الرجل فى هلع :

ـ الكعبة يامولاى .. الكعبة .

سرت قشعريرة مخيفة فى جسد الإمبراطور ، وهو يردِّد فى هلع هائل :

ـ الكعبة ؟!

ثم أمسك مسندىْ عرشه البلُّورىّ فى توتُّر هائل ، قبل أن يهتف :

— حسنًا .. دعوهما .. دعوا الأهرامات الثلاثة ، وهذه
ال ... الكعبة .. دعوهما .. لا تمسُّوهما .
بدا الارتياح على وجه الرجل ، كأنما حمل ثقيل قد انزاح
عن كاهله ، وغمغم :
— شكرًا يا مولاى .. أعنى .. حسبما تأمر يا سمو الإمبراطور .
ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول الإمبراطور فى
عصبيَّة :
— وماذا عن ذلك الأرضىّ ؟
ارتجف الرجل فى قوّة ، كما لو كان السؤال غير متوقَّع قطُّ ،
ثم هتف :
— لا ريب أنهم قد ظفروا به الآن يا سمو الإمبراطور ..
أعنى أنه من المحتَّم أنهم قد فعلوا ، و .....
قاطعه الإمبراطور فى غضب هادر :
— وماذا ؟
ارتجف الرجل ، وتراجع وهو يتمتم :
— لست أدرى يا مولاى .. إننى أنتظر تقريرهم .
هتف الإمبراطور محتدًّا :
— أريد هذا التقرير فى خلال ساعة واحدة .

غمغم الرجل :
— كما تأمر يا مولاى .. كما تأمر .
ثم استدار ، وابتعد بأقصى ما تسمح له به ساقاه من
السرعة ، خشية أن يورَّط فى غضب إمبراطورىّ جديد ، فى
حين انْعقدت عينا الإمبراطور غضبًا ، وهو يقول لنفسه فى حنق :
— لا بُدَّ أن يذهب هذا الأرضىّ .
وضرب مسند مقعده بقبضته ، مستطردًا فى عنف :
— لا بُدَّ ..

* * *

واصل فريق (نور) الصغير ، المكوَّن من (سلوى)
و (نشوى) و (محمود) ، وهو ، عَدْوَه عبْر الممر الطويل ،
وتصاعد صوت لهاث الأربعة ، فى الممر الممتد ، على نحو يبدو
لا نهائيًا ، حتى هتفت (نشوى) :
— لن أحتمل .. لم أعُدْ أحتمل .
هتف (نور) :
— قاومى .. من الضرورى أن نبتعد بقدر الإمكان .
صاح (محمود) ، فى صوت يشفُّ عن التهالك :
— رُوَيْدك يا (نور) .. القافلة تسير بقدر احتمال
أضعفها ..

قيّدت العبارة ساق (نور) بغتة ، فتوقّف عن العَدْوِ ، مغمغمًا :

ــ صدقت .

توقّف الجميع خلفه ، وتعالى صوت لهاثهم ، وهم يلقون أجسادهم أرضًا ، وهتفت (سلوى) :

ــ لو أنك لم تتوقّف الآن ، لسقطت وحدى يا (نور) .

وغمغمت (نشوى) فى إنهاك :

ــ هذا الممر أطول مما ينبغى .. إنه يبدو وكأنه لا نهاية له .

تمتم (نور) :

ــ هناك نهاية حتمًا .

وراح (محمود) يلهث فى شدة ، دون أن ينبس ببنتِ شفة ، إلى أن أردف (نور) فى توتُّر ، وهو يلقى بصره إلى أوّل الممرّ :

ــ يبدو أن هؤلاء الغزاة لم يكشفوا أمر الممر السِّرّى ، وإلا لحقوا بنا على الفور .

قال (محمود) فى صوت اختلطت ارتجافته بلهاثه :

ــ هذا من حسن الحظ ، إننى أشعر برُعب هائل ، كلما تذكَّرت منظرهم المخيف .

وهتفت (سلوى) :

ــ إنهم عمالقة .

قال (نور) فى حِدَّة :

ــ ضخامة الأجساد ليست مقياسًا للتفوُّق ، وإلا كان الفيل ملك الغابة حتمًا .

اعتدلت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ ولكنهم أقوى منا بالفعل يا (نور) .. ألم تر كيف هزموا العالم كله فى أقل من يوم واحد ؟

أجابها فى ضيق :

ــ ربَّما لأنهم باغتونا ، فلم نملك الوقت الكافى لتبيُّن نقاط ضعفهم ، أو وسيلة مهاجمتهم .

هتف (محمود) :

ــ ربَّما .

وهنا التفتت (سلوى) إلى ابنتها ، تسألها :

ــ هذا ليس مؤكدًا .. أليس كذلك يا (نشوى) ؟

ألقت سؤالها ، وهتفت فى لوْعة :

ــ (نشوى) .. أتبكين ؟

أجابتها (نشوى) فى صوت حزين ، تبدو الدموع واضحة فى حروفه ونبراته :

— نعم يا أمى .. أبكى .

هُرعت إليها فى لوعة وأسى ، وضمتها إلى صدرها فى حنان ، وهى تهتف :

— جففى دموعك يا بنيتى .. إنها أزمة طارئة بحقّ ، و .....

قاطعتها (نشوى) فى مرارة :

— لست أبكى ما يحدث يا أماه .. بل أبكى مَنْ ذهبَ .

تنهدت (سلوى) ، وهى تقول فى حزن :

— أتقصدين (رمزى) ؟

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، فقال (نور) :

— كلنا نبكيه يا بنيتى .. هو والدكتور (حجازى) ، والدكتور (عبد الله) ، والقائد الأعلى .

هتفت فى مرارة :

— أتعنى أن الغزاة قد قتلوا الآخرين يا أبى ؟

أجابها فى ألم :

— حتمًا يا بنيتى .. حتمًا ..

وزفر فى حرارة ، مستطردًا :

— إنه الغزو .. غزو اللَّعنات .

* * *

انفتح باب القاعة الإمبراطورية ، فى سفينة قيادة الغزو ، واندفع داخلها رجلان فى سِنّ الكهولة ، يبدو التهالك فى وجوههما واضحًا ، ويبدو الإرهاق فى قسماتهما جليًا ، وخلفهما ستة من الغزاة ، رفع أكبرهم رتبة قبضته أمام وجهه ، وهو يقول :

— التحيات للإمبراطور العظيم .

أجاب الإمبراطور تحية قائد الجنود بإيماءة من يده ، وقال :

— من هذان الأرضيّان ؟

أجابه قائد الجنود :

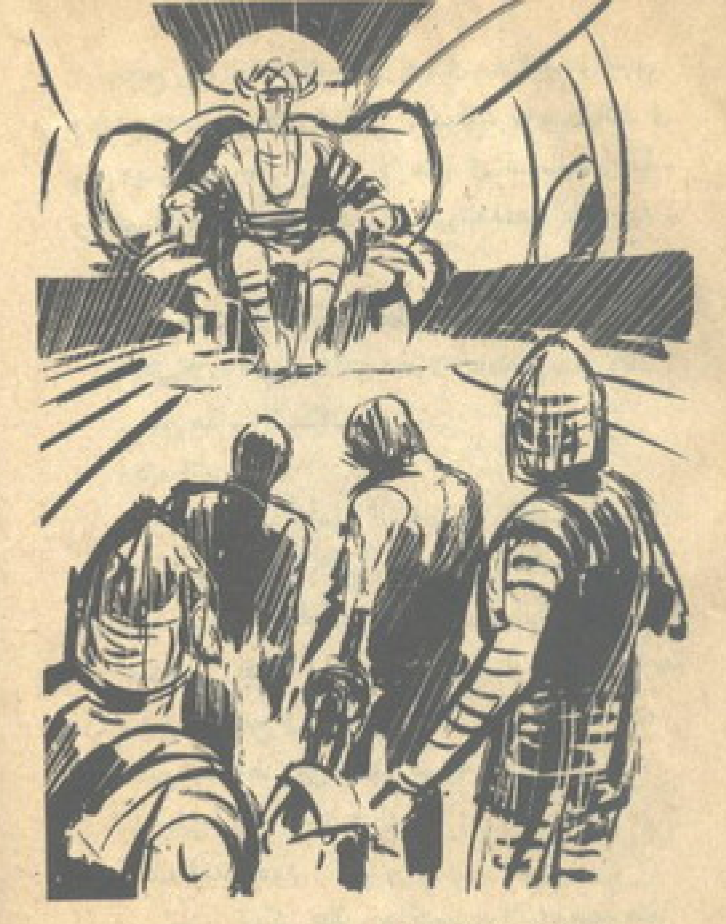
— إنهما القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، ورئيس قسم الأبحاث العلمية التابع لها ، فلقد هاجمنا مقر المخابرات السفلىّ ، كما أمرتنا ، ولكننا لم نجد الرائد المطلوب ، ووجدنا هذين فقط ، ولقد قاوما فى شراسة ، وقتلا أربعة منا ، قبل أن ننجح فى أسرهما .

تطلّع الإمبراطور إلى وجهى أسيريه ، وهو يقول :

— وهل كان (نور) هناك ؟

أجابه قائد الجنود :

— كلا .. لم يكن هناك ، ولكنهما يعرفان موضعه حتمًا .



انفتح باب القاعة الإمبراطورية ، فى سفينة قيادة الغزو ، واندفع داخلها رجلان فى سِنّ الكهولة ، يبدو التهالك فى وجهيهما ..

كان الحديث يدور طيلة الوقت بلغة (جلوريال) ، لذا فلم يفهم الدكتور (عبد الله) والقائد الأعلى حرفًا واحدًا منه ، حتى التفت إليهما الإمبراطور ، وقال بلغة عربية سليمة ، وباللهجة المصرية :

— أين (نور) ؟!

تطلّع الرجلان إليه فى دهشة ، وهتف الدكتور (عبد الله) :

— ربّاه !!.. إنه يتحدّث العربية !!

أجابه الإمبراطور فى برود :

— أنا أختلف عن الجميع .. إننى أتحدّث بكل لغات الكون ، وهذا ما صنع منّى إمبراطورًا .. أما الآخرون ، فهم يعجزون عن التحدّث بأيّة لغة ، فيما عدا لغة (جلوريال) ؛ لذا فهم يحتاجون إلى تلك الخوذات ، التى يضعونها على رءُوسهم ، لتترجم لهم فوريًا كل كلمة تنطقون بها يا أهل الأرض .

أدار الدكتور (عبد الله) رأسه إلى الغزاة ، يتأمّل الخوذة الشفّافة فوق رءُوسهم ، مغمغمًا فى شغف :

— إذن فهذه هى قبّة الترجمة ؟!.. رائع .. إنه جهاز جيّد ،

ولكننا صنعنا مثله فيما مضى ، واستخدمته (سلوى) بنجاح ، فى كوكب الأساطير ، (*) و .....

قاطعه الإمبراطور فى صوت غاضب هادر :

ـ كفى .

ثم استطرد فى غضب صارم :

ـ أين (نور) ؟

سأله القائد الأعلى فى برود :

ـ مَنْ (نور) ؟

ابتسم الإمبراطور فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ألا تدرى مَنْ هو (نور) ؟!.. حسنًا .. سأخبرك أنا .. إنه شاب من شباب المخابرات العلمية المصرية ، يحمل رتبة رائد ، والرمز الكودى (م.م) ، والرمز يعنى أنه (مقاتل مميَّز) ، ورقمه الشفرى (٣٣٠٠٧٠٦) ، ويمكن استخدام الكود (م/٦) بدلًا منه ، وللمعلومات العاجلة ، وهو مؤهَّل للقيادة ، ويمتلك عقلية استنباطية نادرة .. أتعلم الآن مَنْ هو (نور) ؟

تمتم القائد الأعلى فى صرامة :

(*) راجع قصة (الأسطورة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

ـ لا توجد قوة فى العالم ، يمكنها أن تجبرنى على البَوح بمعلومة أرفض منحها .

قال الإمبراطور فى غضب :

ـ هكذا ؟!

ثم التقط من ظهر مقعده قضيبًا شفافًا ، صوَّبه نحو القائد الأعلى ، مستطردًا :

ـ سنرى .

وفجأة ، انطلق من القضيب شعاع أرجوانى رفيع ، أصاب رأس القائد الأعلى ، فانفجرت جمجمته على الفور ، وتناثرت أشلاؤها ، وقفزت الدماء إلى وجه الدكتور (عبد الله) ، الذى هتف فى ارتياع ، وهو يرى قائده الأعلى يسقط جثة هامدة ، بلا رأس :

ـ أيها القتلة ، ماذا فعلتم به ؟

صاح به الإمبراطور فى صرامة :

ـ أتحب أن تلحق به ؟

صرخ الدكتور (عبد الله) فى مرارة :

ـ اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .. اذهب إلى الجحيم .

برقت عينا الإمبراطور بلهيب أحمر دموى ، وهو يصرخ :

— قل لى أيها الأرضىّ الحقير .. أين الرائد (نور) ؟

هتف الدكتور (عبد الله) :

— أنت هو الحقير أيها الوغد .. أنت هو منْ يقتل العُزّل بلا رحمة ، أو شفقة .

صاح به الإمبراطور فى صرامة :

— نعم .. أنا هو .. هل ستخبرنى أين الرائد (نور) أم لا ؟

صرخ الدكتور (عبد الله) :

— اذهب إلى الجحيم .

ارتسم كل الغضب على وجه الإمبراطور ، وقال :

— بل اذهب أنت إليه .

وارتفع القضيب الشفاف نحو رأس الدكتور (عبد الله) ، فصرخ فى رُعْب :

— كلّا .. كلّا .

ثم انهار ، مستطردًا :

— سأخبرك .. سأخبرك أين تجد الرائد (نور) .

* * *

١١ — الاحتلال ..

تابع (نور) ورفاقه سيرهم ، عَبْر الممر الطويل ، بعد أن حصلوا على قدر مناسب من الراحة ، وعادت (نشوى) تقول فى توتُّر :

— أما من نهاية لذلك الممرّ ؟!

غمغم (نور) فى خُفوت :

— لكل شىء نهاية .

وصمت لحظة ، ثم لم يلبث أن استطرد فى صوت حازم مرتفع :

— كل شىء .

زفرت (سلوى) ، وهى تقول :

— حسنًا .. ما نهاية هذا الممرّ ؟

برقت عيناه فجأة ، وهو يهتف :

— هنا .

التفت الجميع إلى حيث يشير ، وهتفت (نشوى) فى لهفة :

— يا إلهى !!.. هذا صحيح .

انبعث فى قلوب الجميع قوّة مفاجئة ، عندما وقعت أبصارهم على قاعة جانبية ضخمة ، كانت تخفيها عن أعينهم الغشاوة حادّة ، وانطلق الجميع إلى القاعة ، حيث اتسعت عيونهم عن آخرها انبهارًا ودهشة ، وهتفت (سلوى) :

— مستحيل !!

أما (محمود) فصاح :

— إنه معمل تكنولوجى متكامل ، ووحدة ميكروكمبيوتر رائعة ، مع جهاز مراقبة متطوّر .. إنه إنجاز حضارى رائع !!

وصاحت (نشوى) :

— بل هو معجزة !!

أمّا (نور) ، فقد دمعت عيناه ، وهو يغمغم فى خفوت :

— خطأ .. إنه عنوان الإرادة البشرية .

ثم اتجه نحو شاشات المراقبة ، وضغط أزرارها ، مستطردًا :

— فلنحاول معرفة ما يحدث فى الخارج أوّلًا .

لم يكد يضغط الأزرار ، حتى أضيئت أربع شاشات رصد متجاورة ، تنقل ما يدور فى أربعة أماكن مختلفة من البلاد ..

وكانت المشاهد كلها مؤلمة ..

جنود الغزاة يملئون الطرقات ..

الشعب كله مستسلم مذعور ضائع ..

كل صور الحضارة تهاوت وتهدّمت ..

كل التاريخ انهار وانسحق ..

كان دمارًا شاملًا ..

دمارًا ماديًّا ومعنويًّا ..

وبكت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) فى مرارة ..

وعضّ (محمود) شفتيه قهرًا ..

أما (نور) ، فقد عقد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

— يا للأوغاد !! سيدفعون الثمن .. سيدفعونه حتمًا ..

غمغمت (سلوى) فى انهيار :

— أما زلت تملك بعض الأمل ؟

هتف فى حزم :

— نعم .. وحتى آخر لحظة فى حياتى .

غمغم (محمود) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

— لا فائدة يا (نور) .. لقد حطّمونا .

صاح به (نور) غاضبًا :

— لا تقل هذا .

ثم رفع تلك الحقيبة المربعة ، التى أعطاه إياها القائد الأعلى ، مستطردًا فى حزم وصرامة :

— ما زلنا نملك حضارتنا .

هتفت (نشوى) :

— وحدنا يا أبى .. أمّا العالم كله ، فقد استسلم وانهار .. نعم .. لقد سقطت الأرض .. سقطت إلى الأبد ..

* * *

استمع الإمبراطور (آغرو) إلى الدكتور (عبد الله) فى هدوء شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، ثم ران الصمت تمامًا ، داخل القاعة الإمبراطورية ، قبل أن يغمغم الإمبراطور :

— إذن فقد هرب (نور) .

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه ، قائلًا :

— نعم يا صاحب السموّ الإمبراطورى .. لقد هرب .. أصابه الرُّعب ، وهرب ، وأظنّه قد اتجه إلى مقر إدارة المخابرات فى (الإسكندرية) أو (الأقصر) ، و .....

قاطعته صيحة الإمبراطور الصارمة :

— كاذب ..

حدّق الدكتور (عبد الله) فى وجه الإمبراطور فى هلع ، فاستطرد هذا الأخير فى لهجة أشد صرامة وغضبًا :

— كاذب وحقير .

غمغم (عبد الله) فى اعتراض متخاذل :

— ولكن يا مولاى ..

قاطعه الإمبراطور مرّة أخرى ، وهو يقول فى غضب :

— أقول لك إنك كاذب وحقير .. اسمع يا رجل .. إن لدى هنا ملفًا كاملًا من ذلك الرائد (نور) ، وهذا الملف يقول إنه ليس من النوع الذى يهرب أو يفر ، أمام أصعب المواقف ، مهما بلغت دقتها وخطورتها ، وهذا يعنى أنك كاذب .

غمغم الدكتور (عبد الله) :

— إننى أقول الحقيقة .

عاد الإمبراطور يصرخ ساخطًا :

— كاذب .. كاذب .. كاذب ..

ثم رفع القضيب الشفاف نحو رأس الدكتور (عبد الله) ، مستطردًا فى صرامة محنقة :

— سأمنحك فرصة أخيرة يا رجل .. قل لى أين الرائد (نور) ، أو أنسف رأسك نسفًا .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— أقسم لك يا مولاى إنه قد هرب ..

صاح الإمبراطور :

— حسنًا .. إلى أين هرب ؟ وأين ذهب ؟

هزّ الدكتور (عبد الله) كتفيه ، قائلًا :

— لست أدرى .. إننى أجهل الكثير عن الشقّ العملىّ السرّىّ لرجال المخابرات العلمية ، و.....

صرخ الإمبراطور :

— صَهْ يا رجل .. كذبك يصيبنى بالغثيان .

قال الدكتور (عبد الله) فى هدوء شديد ، بدا عجيبًا بالنسبة للموقف :

— يمكنك أن تحتمل هذا الشعور .

ثم انفجر فجأة ، صائحًا فى غضب :

— لأننى أحتمله منذ التقيت بك .. أنت أيضًا تصيبنى بالغثيان والاشمئزاز .. فأنت شىء حقير ، يرغب فى مدّ رقعة سيطرته إلى خارج كوكبه ، واختار كوكبنا ليستكمل فيه شروره ، و .....

لم يدعه الإمبراطور يكمل حديثه ..

لقد أخرسه ..

أخرسه بطلقة من أشعة أرجوانية ، نسفت رأسه على الفور ..

وتهاوى الدكتور (عبد الله) جثة هامدة ..

حفر التاريخ الجديد اسمه بحروف من (نور) ، فى سجل الشهداء والأبرار ..

سقط الرجل شهيدًا ..

سقط بطلًا ..

وعلى أرضية القاعة الإمبراطورية ، سالت دماء الرجل ، وامتزجت بدماء القائد الأعلى ..

وصاح الإمبراطور فى غضب :

— بشر حمقى .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا :

— احمل جثتيهما بعيدًا .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

— وأعلن بيان الاحتلال ، ولترفع علم (جلوريال) فى كل مكان ..

— [illegible]تفل بالنصر ..

* * *

كان (نور) و (سلوى) و (نشوى) و (محمود) يراقبون الشاشات ، عندما نقلت إليهم بثة بيان الاحتلال ..

وفى صوت خشن صارم ، كان الإمبراطور يقول فى حديث مسجّل مسبقًا :

ـ يأهل الأرض .. منذ اليوم ولّت أيامكم السابقة .. ومنذ اليوم صرتم أتباعًا لنا .. نحن أهل كوكب (جلوريال) العظيم .. ومنذ هذه اللحظة ، صارت هناك أمور ينبغي اتباعها .. فلا تعليم ، ولا فن ، ولا موسيقى .. ولا صلوات ، ولا علم ولا مرح .. العمل وحده هو حياتكم ، من الآن فصاعدًا .. وستوزع عليكم ، وتعلّق في كل مكان ، قائمة بالممنوعات .. ستكون عديدة ، ولكن كلها ستخضع لعقوبة واحدة ، هي الإعدام .

غمغم (نور) في مرارة :

ـ أيها الوغد الحقير .

ثم سالت من عينيه دمعة قهر ، امتزجت بدموع رفاقه ، عندما شاهد الجميع علمًا أزرق اللون ، تتوسطه دائرة حمراء ، يرتفع في كل مكان ، بدلًا من أعلام الدُّول ..

إنه علم (جلوريال) ..

علم الاحتلال ..

ولم تكن هذه أيضًا هي النهاية ..

بل كانت البداية ..

* * *

[انتهى الجزء الأوّل ، ويليه الجزء الثاني

(المقاومة)]

رقم الإيداع ٣٢٦٥